الأخلاق وأثرها فى نشر الدعوة

بقلـــم

د. رمضان عبد المطلب خميس

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين - القاهرة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، كما أصلى وأسلم على جميع الأنبياء والمرسلين.

أما بعد،،

فإن الأخلاق في الإسلام لها دور كبير وفعال في نشر الدعوة الإسلامية، لأنها تمثل التبليغ بالحال، بخلاف التبليغ بالمقال، والتبليغ بالحال أعظم أثراً في نشر الدعوة الإسلامية وقد دخل الكثير في الإسلام بسبب حال التجار الذين طبقوا الإسلام عملياً في تجارتهم، والأخلاق هي التي تمثل هذا الجانب العملي الذي قرنه الله تعالى بالدعوة حيث قال: "ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين"(١).

وجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحكمة من وراء بعثته/ فقال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٢)، وهذا البحث الذي أقدمه لحولية كلية أصول الدين بالقاهرة موضوعه "الأخلاق وأثرها في نشر الدعوة" يحتوى على تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، التمهيد وبه سبب الاختيار والخطة.

والمبحث الأول يحتوى على ثلاثة نقاط:

الأولى: تعريف الأخلاق، **الثانية:** أهميتها، **والثالثة:** خصائصها.

---

(١) سورة فصلت: ٣٣.

(٢) أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى – باب بيان مكارم الأخلاق – جـ١٠ – صـ١٩٢ – عن أبي هريرة رضي الله عنه – ط دار المعرفة – بيروت – لبنان.

والمبحث الثانى: "أثر الأخلاق فى نشر الدعوة" وبه عدة مطالب:

المطلب الأول: من خلال دعوات الأنبياء السابقين.

المطلب الثانى: من خلال دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: من خلال عصر الراشدين.

المطلب الرابع: من خلال العصور التالية لعصر الراشدين:

أ- الأمـــوى ب- العباســـى

المبحث الثالث: حاجة الدعاة إلى الأخلاق فى العصر الحاضر.

الخاتمة: وبها النتائج.

المبحث الأول

الأخلاق: تعريفها - أهميتها - خصائصها

أولاً: تعريفهـــا:

١- فى اللغـــــة:

الخلـق بضـم اللام وسكونها وهو: الطبع والسجية والدين وحقيقته أنه لصـورة الإنسـان الباطـنة، وتخلـق مثل: تجمّل، وفلان يتخلق بغير خلقه أى يـتكلفه، وخـالق الناس: عاشرهم على أخلاقهم[١]، والأخلق: الأملس المصمت والفقير، والخلقة بالكسر: الفطرة[٢].

وبهـذا يتضـح أن الخلق فى اللغة يأتى بمعنى الطبع والسجية، وحقيقة صـورة الديـن الباطـنة فى الانسان، والتجمل، والتكلف بغير خلقه، ومعاشرة الناس على أخلاقهم، والأملس المصمت والفقير، والفطرة.

٢- فى اصطلاح المسلمين:

ومن أشهر علماء الإسلام الذين تكلموا فى تعريف الأخلاق:

أ- **ابن مسكويه:** عرف الخلق بأنه[٣]:

حـال للـنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذا الحال ينقسـم إلـى قسـمين، مـنها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذى يحـركه أدنـى شئ نحو الغضب ويصيح من أقل سبب، ومنا ما يكون مستفاداً بالعـادة والتدريـب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولاً فأولاً

---

(١) لسان العرب: لابن منظور - مجلد ١٠ - صـ٨٦-٨٧ (بتصرف) - دار الفكر للطباعة.

(٢) القاموس المحيط: للفيروز أبادى - صـ٧٩٣ (بتصرف) - طبعة جديدة - ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعى - دار الفكر.

(٣) انظر تهذيب الأخلاق لابن مسكويه - صـ٤١ - ط١ - س ١٩٦١م.

حتى يصير ملكه وخلقاً. وابن مسكويه يوضح فى تعريفه أن الخلق حال للنفس وينقسم إلى قسمين: ما يكون طبيعياً كالإنسان الذى يحركه أدنى شئ نحو الغضب، وما يكون مستفاداً بالعادة والممارسة حتى يصير ملكه وخلقاً له.

ب- الإمام الغزالى[١]: عبارة عن:

"هيئة فى النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقاً سيئاً" وبعد تعريفه للخلق فى إحيائه يعلل هذا التعريف بقوله[٢]: "وإنما قلنا إنها هيئة راسخة، لأن من يصدر عنه بذل المال على النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك ذلك فى نفسه ثبوت راسخ، وإنما اشترطنا أن تصدر عنه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم".

والخلق عند الإمام الغزالى كما سبق: هيئة فى النفس لخروج الحاجة العارضة كما علل، وراسخة كذلك، **والخلق منها:**

أ- ما هو ممدوح وحسن وهو ما كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً.

ب- ومنها ما هو مذموم وسئ، وهو: ما كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الخبيثة.

ثانياً: أهميتها:

إن للأخلاق فى الإسلام أهمية عظيمة حيث أنها تمثل جانب القدوة والسلوك العملى واللذان لهما أكبر الأثر فى إقناع المدعوين بمبادئ الإسلام

---

(١) انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالى - جـ٣ - صـ٤٨ - ط دار الفكر - س ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) السابق - جـ٣ - صـ٤٨.

وسلوكه، والدعوة الإسلامية بمفهوميها (الدين والبلاغ): لابد من وجود الأخلاق فى كلا الجانبين.

إذ أن الدعوة بمعنى الدين، تشتمل على العقيدة والشريعة والأخلاق وبمعنى البلاغ: تشتمل على الداعى، والمدعو، والمدعو إليه، والوسيلة أو الأداة، فالداعى هنا ركن من أركان الدعوة كبلاغ ولابد من وجود الجانب الأخلاقى فى الداعية، وما كتب أحد من الأساتذة الأجلاء فى هذا الجانب إلا وتعرض لآداب الدعاة.

وللأخلاق أهمية بالغة فى الدين والبلاغ لما لها من تأثير كبير فى سلوك الإنسان، وما يصدر عنه، وسلوك الإنسان موافق لما هو مستقر فى نفسه من معان وصفات، ولذا قال الإمام الغزالى فى إحيائه: "[١] فإن كل صفة تظهر فى القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة" ومعنى قول الإمام الغزالى: أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه، لأن الفرع بأصله، وإذا صلح الأصل صلح الفرع وإذا فسد الأصل فسد الفرع، كما قال تعالى:

"والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا"[٢].

ولهذا[٣] كان النهج الأمثل فى إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم: أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها وغرس معانى الأخلاق الجيدة فيها لأن تغير أحوال الناس من سعادة وشقاء، ويسر وعسر، ورضاء وضيق، وطمأنينة وقلق، وعز وذل، كل ذلك تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات، قال تعالى: **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى**

---

(١) إحياء علوم الدين - جـ٣ - صـ٤٦ - مرجع سابق.

(٢) الأعراف: ٥٨.

(٣) انظر أصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان - صـ٨٠ (بتصرف) - الطبعة السابعة - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

يغيروا ما بأنفسهم"[١]، كما أن الالتزام بالأفعال التى أمر الله بها رسوله، والنهى عن المنهيات التى نهى الله عنها ورسوله راجع إلى ميزان الأخلاق ويتوقف على نوع المعانى الأخلاقية التى يحملها من حيث جودتها أو رداءتها، ومدى رسوخها فى نفسه وانصباغها بها وحماسه لها وغيرته عليها وشعوره بضرورتها، ومن أجل هذا أكد الإسلام على معانى الأخلاق المطلوبة وشوق إليها وحث النفوس عليها، وذلك بذكر موضوع الأخلاق فى كثير من الآيات القرآنية منها ما نزل فى مكة قبل الهجرة، ومنها ما نزل فى المدينة بعد الهجرة، والمتأمل[٢] فى عقيدة الإسلام الواضحة يرى أن الهدف الأساسى من عقيدة التوحيد الخالص لله إنما يكمن فى بناء الخلق الفاضل والشخصية السوية، ومقتضى الإيمان بالله تعالى ووحدانيته أن يكون المؤمن متخلقا بالأخلاق الحسنة، وبالتالى يصبح الخلق الحسن أمارة صادقة على قوة إيمانه وكماله، وفى المقابل تكون الأخلاق السيئة كالكذب والخيانة والنفاق والفحش والغش وغيرها من رذائل الأخلاق دليل على نقصان الإيمان وضعفه، وبذلك يمكننا أن نعرف مدى إيمان المسلم بمقدار ما يتحلى به من مكارم الأخلاق.

وبالنسبة للأحكام الشرعية[٣] والأخلاق نجد أنها ما شرعت هذه الأحكام إلا لتثبت الجانب الأخلاقى فى الإنسان، فالصلاة عاصم من مزالق الضعف الإنسانى لقوله تعالى: "**إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا**

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) انظر خلق المسلم – الشيخ محمد الغزالى – صـ٨ – ط٢ – س ١٩٧٤م (بتصرف)، كتاب أخلاقنا – د. محمد ربيع جوهرى – صـ١٥ – ط١ – س ١٩٨٥م.، كتاب دراسات فى فقه الدعوة وإعداد الدعاة – د. محمد عبد العزيز محمد عوض – صـ٧١ – ط١ – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٨م – دار الطباعة المحمدية.

(٣) انظر الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى – د. رزق شلبى – صـ٥٢١ – ط٣ – دار القلم بالكويت – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، الإنسان وقضايا العصر – د. نعمات أحمد فؤاد – صـ٤١ – قضايا اسلامية سلسلة تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – العدد ٨١ فى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م

وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين"[١]. والزكاة تزكى النفس وتشيع الرحمة والتعاطف، وتسعد الفقير وتنزع الحقد من القلوب كما قال تعالى: "**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**"[٢]، والصيام لإبراز جانب التقوى فى الإنسان كما قال تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**"[٣]، وطبيعة التشريع الإسلامى أنه بدأ بالتدرج والأخذ بالحسنى، وتربية النفوس بالهوينى.

وخلاصة القول أن أهمية الخلق فى نشر الدعوة تأتى من خلال الوجوه الآتية:

أولاً: تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارم الأخلاق كما جاء فى الحديث:

"**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"[٤].

ثانياً: أن حسن الخلق من أكثر ما يرجح كفة الحسنات يوم الحساب كما جاء فى الحديث:

"**أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق**"[٥].

ثالثاً: أن أقرب الناس مجلساً يوم القيامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحب الخلق الحسن كما جاء فى الحديث:

---

(١) المعارج: ١٩-٢٣.

(٢) التوبة – ١٠٣.

(٣) البقرة: ١٨٢.

(٤) أخرجه الإمام البيهقى فى السنن الكبرى – باب مكارم الأخلاق – جـ١٠ – صـ١٩٢ – عن أبى هريرة رضى الله عنه – مرجع سابق.

(٥) سنن أبى داود – جـ٥ – صـ١٥٠ – باب حسن الخلق – كتاب الأدب – طبعة دار الحديث – القاهرة.

"**إن مـــن أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**"(١).

رابعاً: أن التفاضل(٢) فى الإيمان مرجعه إلى حسن الخلق، لما ورد: قيل يا رسول الله أى المؤمنين أفضل إيمانا. قال صلى الله عليه وسلم: "**أحسنهم خلقاً**"(٣).

خامســاً: أن النجاة من النار والفوز بالجنة إنما هو بحسن الخلق حيث أنه أمر لازم وشـــرط لابـــد مـــنه لتحقيق النجاة من النار والفوز بالجنة. وأن الـــتفريط فـــى هذا الشرط لا يغنى عنه حتى الصلاة والصيام لما ورد أن بعـــض المســـلمين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يا رسول الله: إن فلانـــة تصـــوم الـــنهار وتقـــوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"**لا خير فيها هى من أهل النار**"(٤).

---

(١) صحيح البخارى – جـــ٤ – صـــ٣١٨ – باب فضائل الصحابة، وأخرجه أحمد فى مسنده – جـــ٤ – صـــ١٩٣ عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه.

(٢) انظر أصول الدعوة – د. عبد الكريم زيدان – صفحتى ٨١،٨٢ (بتصرف).
وانظر: بحوث فى الثقافة الإسلامية – د. حسن عيسى عبد الظاهر، د. أحمد محمد الخطيب، د. حسن عبد الرؤوف محمد البدوى، د. خليفة حسين عبد العال – صفحتى ٣٥٤ ، ٣٥٥ (بتصرف) – ط١ – ١٤١٤هـ ١٩٨٣م – نشر دار الحكمة – الدوحة.

(٣) سنن أبى داود ، كتاب السنة – باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه – جـ٤ – صـــ١٩ – ط دار الحدي – القاهرة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده – ٤٤٠/٢ عن أبى هريرة رضى الله عنه – ط بيروت – لبنان.
وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد – كتاب الأدب – باب ما جاء فى أذى الجار ٨/ ١٦٨-١٦٩ عن أبى هريرة وعزاه الهيثمى إلى أحمد والبزار ورجاله ثقات – ط القدس.

سادســاً: مـــدح الله رســـوله الكريم صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق فقال الله تعالى:

"**وإنـــك لعلى خلق عظيم**"(١)، والله تعالى لا يمدح رسوله إلا بالأمر العظيم مما يدل على عظيم منزلة الأخلاق فى الإسلام.

ســابعاً: ومـــما يدل على أهمية الأخلاق الحسنة: أن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها من الأمور التى كان يدعو بها ربه، فقد كان يقول فى دعائه:

"**اللهم حسنت خلقى فحسن خُلقى**"(٢).

وبهذه الوجوه تتضح أهمية الجانب الخلقى فى نشر الدعوة الإسلامية.

ثالثاً: خصائصهـــا:

للأخـــلاق الإسلامية خصائص تميزت بها عن كل ما سواها، وذلك لأن مصـــدرها القرآن والسنة الصالحين لكل زمان ومكان، ولأن القرآن الكريم كلام الله عـــز وجـــل والله هـــو الخـــالق والمهيمـــن، والذى خائنة الأعين وما تخفى الصـــدور، والذى أحاط بكل شئ علما، وأحصى كل شئ عددا، والذى لا تأخذه ســـنة ولا نـــوم، وســـنة النبى صلى الله عليه وسلم والتى شملت كل قول وفعل وصـــفة خلقـــية "بكسر الخاء" وخلقية "بضم الخاء" وتقرير أقره النبى صلى الله عليه وسلم والذى قال الله تعالى عنه:

"**مـــا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى**"(٣)، كل هذا يجعلها تحظى بالخصائص التالية:

---

(١) القلم: ٤

(٢) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (موارد الظمآن عن زوائد ابن حبان) كتاب الدعاء – باب أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم – جـــ١ – صـــ٦٠١ – عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه – المطبعة السلفية.

(٣) النجم: ٣ ، ٤

١- الوسطيـــة:

وهـــى تعـــنى فى الأخلاق أن الإسلام[١] وسط بين غلاة المثاليين الذين تخـــيلوا الإنسان ملاكاً أو شبه ملاك، فجعلوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له ...، وبيـــن غـــلاة الواقعييـــن الذيـــن حسبوه حيواناً أو كالحيوان فجعلوا له من الســـلوك مـــا لا يليق به، فالذين اعتبروا الفطرة الإنسانية خيراً محضاً وأحسنوا الظـــن بهـــا أســـاءوا بها الظن، والذين أساءوا بها الظن اعتبروها شراً خالصاً أســـاءوا الظـــن بهـــا أيضـــاً، وإنما كانت نظرة الأخلاق فى الإسلام وسطاً بين أولـــئك وهـــؤلاء. فالإنسان فى نظر الإسلام مخلوق مركب فيه العقل والشهوة، ففـــيه غريـــزة الحـــيوان وروحانـــية الملاك، وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين إما شـــاكراً وإمـــا كفوراً، فيه استعداد للفجور، واستعداده للتقوى ومهمته فى الوسط جهاد نفسه ورياضتها حتى تتزكى كما قال تعالى:

"ونفـــس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"[٢].

والإســـلام وســـط فـــى الـــنظرة إلـــى الحياة بين الذين أنكروا الآخرة، واعتـــبروا هـــذه الحياة الدنيا هى كل شئ: **"وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا ومـــا نحـــن بمبعوثين"**[٣]. وبهذا غرقوا فى الشهوات، وجعلوا إلههم ما هوته أنفســـهم كمـــا أخـــبر الله تعالى بقوله: **"أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله علـــى علم"**[٤]، ولـــم يعرفوا لهم هدفاً غير المنافع الفردية الدنيوية العاجلة، وهـــذا شـــأن الماديين فى كل زمان ومكان. وبين الذين رفضوا هذه الحياة الدنيا وألغوهـــا واعتبروها شراً يجب مقاومته، فحرموا على أنفسهم طيباتها وانقطعوا عـــن عمارتهـــا والإنتاج لها. بينما الإسلام يعتبر الحياتين ويجمع بين الحسنيين

---

(١) الخصائص العامة للإسلام – صفحتى ١٢٦، ١٢٧ (بتصرف) – د. يوسف القرضاوى – ط٤ – س ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م – نشر مكتبة وهبة – القاهرة.
(٢) الشمس: ٧:١٠.
(٣) الأنعام: ٢٩.
(٤) الجاثية: ٢٣.

ويجعـــل الدنـــيا مـــزرعة للآخـــرة، وأن العمل فى عمارتها عبادة لله عز وجل، ويـــنكر علـــى غـــلاة المتدينين تحريم الزينة والطيبات، كما ينكر على الآخرين إنهماكهم فى الترف والشهوات، يقول الله تعالى:

"يـــا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تســـرفوا إنـــه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق"[١].

وقوله تعالى:

"والذيـــن كفـــروا يتمـــتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مـــثوى لهـــم"[٢]، ويذكر القرآن أن السعادة والحياة الطيبة فى الدنيا من مثوبة الله لعباده المؤمنين فيقول تعالى:

"فآتـــاهم الله ثـــواب الدنـــيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين"[٣].

ويعلم الله المؤمنين هذا الدعاء:

"ربـــنا آتـــنا فـــى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"[٤].

والإســـلام أيضـــاً وســـط فـــى نظـــرته إلى حقيقة الإنسان بين النحل والمذاهـــب الـــتى تقـــوم علـــى اعتباره روحاً علوياً سجن فى جسد أرضى ولا يصـــفوا هـــذا الجســـد إلا بتعذيبه وحرمانه، كالبرهمية وغيرها، وبين المذاهب الماديـــة الـــتى تعتبر الإنسان جسداً محضاً، وكياناً مادياً صرفاً، لا يسكنه روح علـــوى. أما الإنسان فى الإسلام فهو كيان روحى ومادى كما يشير الحق تبارك وتعالى إلى قصة خلق الإنسان فى القرآن الكريم:

"فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين"[٥].

---

(١) الأعراف: ٣١:٣٣.
(٢) محمـــد: ١٥.
(٣) آل عمـــران: ١٤٨.
(٤) البقـــرة: ٢٠١.
(٥) الحجـــر: ٢٦.

والوسطية فى الأخلاق أيضاً تعنى[١]: أنها لا تعتمد على العقل وحده، أو على الناحية العملية وحدها، فإذا استعرضنا الأخلاق الحسنة التى تناولتها بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، نجدها فى التسامح، وعدم الاعتداء باللسان أو اليد، وهجر ما نهى الله عنه، وجهاد النفس فى سبيل الله والسخاء والجود، والصمت، والبر، والشجاعة، والتدبر، وصدق اللسان، وإعطاء السائل، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والوصية بالجار، وإكرام الضيف.

فإذا حاولنا تطبيق هذه الأخلاقيات من الناحية العملية لم نستطع ذلك بسهولة وأصبح الأمر صعباً إلا إذا ارتبط الأمر بالعامل الإيمانى، أما إذا اعتمدنا فى تطبيق مكارم الأخلاق على الناحية العقلية فحسب فلن يمكن ذلك، وأصبح الأمر شاذاً وعسيراً.

إن تطبيق الأخلاق النبوية يقتضى منا علماً وعملاً وإخلاصاً، ولكى يسلك المسلم السلوك الذى أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، عليه أن يعتدل أمره ظاهراً وباطناً، نفساً وفكراً، قلباً وعقلاً، فكيف يستطيع أن يعمل بما أرشده به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظاهره غير باطنه، وفكره غير وجدانه وقلبه غير عقله، وتجربة كظم الغيظ عند الغضب يمكن أن تكون صعبة عند التطبيق، إلا إذا تعاونت النفس والعقل والقلب جميعاً، إن كظم الغيظ يحتاج إلى الإيمان فمن لم يؤمن بالله كيف يستطيع أن يكظم غيظه، إذ أن الكاظم يمتثل بأمر الله، وأما الكابت فدوافعه العدوانية شئ آخر، إذ أنه يضطر لكبت دوافعه نتيجة خوفه أو جبنه فلا يظهر غضبه، فإذا ما تحين الفرصة انقض على غريمه بلا رحمة أو هوادة، أما كظم الغيظ كخلق قرآنى إنما ينبع من موقف علم وعمل وإخلاص لله تعالى.

إن الغلو أو النقصان فى تطبيق الأخلاق الإسلامية إنما تنبع من افتقار المسلم إلى الإيمان بالإضافة إلى جهله بشريعة الله ومن ثم يقع فى الإفراط أو التفريط.

---

(١) انظر: نحو منهج إسلامى – د. حسن الشرقاوى – صـ٥٠٤ (بتصرف) – مطابع السفير بالإسكندرية.

ومن خلال ما سبق تتضح خاصية الوسطية فى الأخلاق الإسلامية فلم تعتمد على عقل الإنسان وحده أن على شهوته وحدها، إنما لابد من الإيمان بالله تعالى الذى يجعله يتغلب على جانب الشر الذى هو فيه، ويتمسك بجانب الخير الذى هو فيه، وبذلك يصل إلى درجة الفلاح.

٢- شمول الأخلاق:

ومعناه: أن دائرة الأخلاق الإسلامية واسعة جداً فهى تشمل[١] جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره سواء أكان الغير فرداً، أو جماعة، أو دولة. فلا يخرج شئ عن دائرة الأخلاق، ولزوم معانى الأخلاق مما لا نجد له نظيراً فى أية شريعة سماوية سابقة، ولا فى أية شريعة وضعية.

وشمول الأخلاق على مستوى الفرد: أوجب الإسلام عليه أن يتصف بكل فضيلة نادى بها الإسلام فى كل شئونه، وهى من متممات الإيمان.

وعلى مستوى العائلة: أوجب الإسلام على العائلة كللها، أباً وأماً وأولاداً وخدماً، أن يتحلوا جميعاً بأخلاق الإسلام، فى كل أمر لا من أمور حياتهم، كما حددت لهم الشريعة بغاية الدقة والتفصيل حقوق كل وواجباته، ليكون التحرك بالأخلاق الإسلامية فى إطار هذه الحقوق وتلك الواجبات، ويمارس أفراد الأسرة جميعاً هذه الأخلاق فى داخل البيت وفى خارجه على السواء، وهذه الشمولية فى الأخلاق الإسلامية لكل جوانب الحياة كانت هكذا كما ذكرت سابقاً لأن القرآن الكريم هيمن على كل الجوانب الأخلاقية التى دعا بها كل رسول ونبى إلى أقوامهم – كما سأذكر بمشيئة الله بعض هذه الجوانب

---

(١) انظر: – أصول الدعوة – د. عبد الكريم زيدان – صـ٩٠ – مرجع سابق.
– فقه الدعوة إلى الله – د. على عبد الحليم محمد – جـ١ – صـ٤٨٠ (بتصرف)
– ط٤ – نشر دار الوفاء – المنصورة – ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
– الدعوة الإسلامية أركانها ومناهجها – د. رمضان عبد المطلب خميس – صـ ١٢٦ – ط١ – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – دار الطباعة المحمدية.

الأخلاقية وأثرها في نشر الدعوة بالمبحث الثانى – بل زاد على ذلك لأنه الكتاب الخالد والصالح لكل زمان ومكان.

٣- عدم ازدواجية الأخلاق الإسلامية:

من خصائص الأخلاق الإسلامية عدم ازدواجيتها بمعنى أنها لم تجعل المنهيات فى الأخلاق مثل الكذب والسرقة وغيرهما من الأخلاق الرذيلة محرمة ومنهى عنها بين المسلمين فقط، وتكون مباحة مع غير المسلمين كما يزعم اليهود بالتوراة المحرفة أن موسى عليه السلام أمر وحث أتباعه على السلب والنهب والسرقة حين الهجرة من مصر، فجاء فى التوراة المحرفة:

"وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة وفضة وأمتعة وذهب وثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعروهم فسلبوا المصريين"(١).

والعهد القديم ملئ بالشبهات والأباطيل والأخلاق الذميمة التى تكشف عن لؤمهم وخبثهم وتعاملهم مع غيرهم من المجتمعات بالسرقة والغدر والقتل وكل ذلك باسم الدين عندهم والذى هو فى التوراة المحرفة، حتى أنه لم يسلم منهم الأنبياء والرسل وهم الصفوة المختارة من البشر، من إلقاء الشبهات والأباطيل عليهم(٢)، وقد أخبرنا الله تعالى عن ازدواجية الأخلاق عند اليهود فى قوله:

"ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل"(٣).

وأن الإسلام يرفض فى أخلاقياته هذه الازدواجية ويعتبر ما هو قبيح فى علاقات الأفراد قبيحاً فى علاقات الدول، وما هو مطلوب وجميل فى علاقات الأفراد، جميلاً أيضاً فى علاقات الدول ولهذا كان من المقرر فى شرع

---

(١) الخروج – ١٢/٣٥ ، ٣٦ .

(٢) انظر: شبهات أهل الكتاب حول الأنبياء والرسل فى العهدين القديم والجديد وموقف الإسلام من هذه الشبهات – د. رمضان عبد المطلب خميس – رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية أصول الدين – القاهرة.

(٣) آل عمـــرن – ٧٥.

الإسلام أن على الدولة الإسلامية أن تلتزم بمعانى الأخلاق، وهذا ثابت وموجود فى القرآن والسنة النبوية.

وأسوق مثالين على ذلك أحدهما من القرآن الكريم والآخر من السنة:

١- مثال من القرآن: قوله تعالى:

"وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين"(١).

أى: إذا ظهرت خيانة من عاهدتهم وثبت دلائلها، فأعلموهم لنقض عهدهم حتى تستووا معهم فى العلم، لأن الله لا يحب الخائنين.

٢- مثال من السنة:

كان من شروط معاهدة الحديبية بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين مشركى قريش أن من يأت من قريش النبى صلى الله عليه وسلم مسلماً يرده النبى صلى الله عليه وسلم ولا يؤويه، وبعد الفراغ من كتابة المعاهدة جاء أبو جندل من قريش مسلماً معلناً إسلامه يستصرخ المسلمين أن يؤوه ويحموه من قريش فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:

"إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا وإنا لا نغدر بهم"(٢).

وبهذين المثالين تتضح خاصية عدم ازدواجية الأخلاق الإسلامية.

---

(١) الأنفـــال: ٥٨.

(٢) انظر: سسرة ابن هشام – جـ٣ – صـ٢٠٣ – تحقيق الشيخ محمد بيومى – نشر مكتبة الإيمان.
وصحيح الإمام البخارى – جـ٥ – باب غزوة الحديبية – صـ٤١٦ – مجلد ٢ – دار الحديث – القاهرة.

٤- واقعية الأخلاق الإسلامية:

ومن خصائص الأخلاق الواقعية ومعناها: أن الأخلاق الإسلامية راعت الطاقة المتوسطة المقدورة لجماهير الناس فاعترفت بالضعف البشرى وبالدوافع البشرية، وبالحاجات البشرية والنفسية وهناك بعض النقاط التى توضح هذه الواقعية فى الأخلاق وذلك لأن منبع الأخلاق هو الإسلام ومن خلاله نجد ما يلى[١]:

أ- لم يوجب الإسلام على من يريد الدخول فيه أن يتخلى عن ثروته وأمور معيشته، فراعى حاجة الفرد والمجتمع إلى المال، فاعتبره قواماً للحياة، وأمر بتنميته والحفاظ عليه، وامتن القرآن بنعمة الغنى والمال فى غير موضع وقال الله لرسوله:

"ووجدك عائلاً فأغنى"[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم:

"نعم المال الصالح للرجل الصالح"[٣].

ب- وتجلت واقعية الأخلاق فى الإسلام حين شرع مقابلة السيئة بمثلها بلا حيف ولا عدوان فأقر بذلك مرتبة العدل، قال تعالى:

"وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين"[٤].

ومع إقرار العدل حث على العفو كما بالآية السابقة.

حـ- أن الأخلاق الإسلامية لم تفترض فى أهل التقوى أن يكونوا برآء من كل عيب معصومين من كل ذنب كأنهم ملائكة، بل قدرت أن الإنسان مكون من طين وروح، فإذا كانت الروح تعلو به تارة فإن الطين يهبط به طوراً، ومزية المتقين إنما هى فى التوبة والرجوع كما وصفهم الله تعالى بقوله:

---

(١) الخصائص العامة للإسلام - صـ١٥٢، ١٥٣ (بتصرف).
(٢) الضحى: ٨.
(٣) رواه أحمد فى مسنده والطبرانى فى الكبير بإسناد صحيح.
(٤) الشورى: ٤٠.

"والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون"[١].

ومن عرض تلك النقاط سالفة الذكر تظهر خاصية الواقعية فى الأخلاق الإسلامية وتميزها على غيرها.

٥- التعميم والتفصيل فى الأخلاق:

ومعنى هذه الخاصية أن الإسلام دعا إلى الأخلاق دعوة عامة كما دعا إليها دعوة مفصلة كما يلى:

أولاً: التعميم فى الأخلاق:

دعا الإسلام إلى الأخلاق دعوة عامة[٢]، مثل ما جاء فى قوله تعالى:

"إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون"[٣].

وفى هذه الآية دعوة عامة للتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل، وكذلك فى السنة النبوية ما يفيد الدعوة العامة إلى مكارم الأخلاق، ومن ذلك ما جاء بالحديث:

"اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن"[٤]. والخلق الحسن يجمع أنواع الأخلاق الحسنة، وقد جاء فى حديث آخر:

---

(١) آل عمران: ١٣٥.
(٢) انظر: - أصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان -صفحتى ٨٤، ٨٥،
- بحوث فى الثقافة الإسلامية للدكاترة: د. حسن عيسى، د. أحمد محمد الخطيب، د. حسن عبد الرؤوف محمد، د. خليفة حسين العسال صـ٢٦٣.
(٣) النحل: ٨٠.
(٤) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه - كتاب البر - باب ما جاء فى معاشرة الناس - جـ٤ - صـ٣٥٥ - عن أبى ذر وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح - ط مصطفى الحلبى - تحقيق إبراهيم عطوة.

"إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم"[١].

وهـذا ما يفيد التعميم فى الأخلاق من القرآن والسنة وهو ما لا يوجد فى غيرهما.

ثانياً: التفصيل فى الأخلاق:

وكمـا دعا الإسلام إلى الأخلاق دعوة عامة، دعا إليها بالتفصيل وذلك من خلال القرآن والسنة كما يلى:

أ- **القـرآن الكـريم:** دعـا القرآن إلى التحلى بالأخلاق الحميدة الحسنة والتخلى عن الأخلاق الرديئة ومن ذلك:

١- الوفـاء بـالعهد: قـال تعـالى: **"وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا"**[٢].

٢- الـنهى عـن القول بلا علم: قال تعالى: **"ولا تقف ما ليس لك بـه علـم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا"**[٣].

٣- الـنهى عن الإسراف والتبذير، والبخل والتقتير: قال تعالى: **"وآت ذا القـربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه**

(١) أخرجه أبو داود فى سننه – كتاب الأدب – باب حسن الخلق – جـ٤ – صـ ٢٥٣ – عن عائشة رضى الله عنها – ط دار الحديث – القاهرة.
وأخرجه الإمام مالك فى الموطـأ – كتاب حسن الخلق – جـ٢ – صـ٩٠٤ – عن يحى بن سعيد بلاغاً – ط عيسى الحلبى – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
(٢) الإسـراء : ٣٤.
(٣) الإسـراء: ٣٦.

كفـورا"[١]. وقوله تعالى: **"ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا"**[٢].

٤- الـنهى عـن مشـية التبخـتر والـتمايل كمـا يفعل المتكبرون: قال تعالى:
"ولا تمـش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا"[٣].

٥- الأمـر بـالعدل فى جميع الأحوال وبالنسبة لجميع الناس حتى مع الكفـار، قـال تعالى: **"ولا يجرمنكم شنآن قوماً على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى"**[٤].

٦- الـتعاون علـى البر والتقوى وما ينفع الناس والنهى عن التعاون علـى الـبغى والعـدوان: قـال تعـالى: **"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"**[٥].

٧- الكـذب رذيلـة لا ينال صاحبها هداية الله، ويؤدى إلى النفاق فى القلـب : قـال تعـالى : **"إن الله لا يهـدى من هو مسرف كـذاب"**[٦]، وقواه تعالى: **"فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون"**[٧].

(١) الإسـراء: ٢٦،٢٧.
(٢) الإسـراء: ٢٩.
(٣) الإسـراء: ٣٧.
(٤) المائـدة: ٨.
(٥) المائـدة: ٢
(٦) غافـر: ٢٨.
(٧) التوبـة: ٧٧.

٨- الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فلابد للمؤمن من صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله وصبر على قضاء الله، قال تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**"(١).

٩- الاستقامة والثبات على الحق يؤدى إلى نزول الملائكة والتبشير بعدم الخوف والحزن، والوصول إلى الجنة التى أعدها الله لعباده المؤمنين، قال تعالى: "**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون**"(٢).

١٠- النهى عن الغل والحقد: قال تعالى: "**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**"(٣).

١١- الجنة دار المتقين الذين من أخلاقهم الحسنة، الإنفاق فى جميع الأحوال فى العسر واليسر، ومن أخلاقهم كظم الغيظ فلا ينفذونه وهم القادرون على تنفيذه، قال تعالى "**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**"(٤).

---

(١) آل عمران: ٢٠٠.
(٢) فصلت: ٣٠.
(٣) الحشر: ١٠.
(٤) آل عمران: ١٣٣، ١٣٤.

١٢- أمرتنا الأخلاق الإسلامية بالإعراض عن الجاهل وتركه وشأنه، قال تعالى: "**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**"(١).

هذا هو تفصيل الأخلاق فى القرآن فى بعض مواضعه وأكتفى بذكر هذه المواضع حتى ألقى الضوء على تفصيل السنة للأخلاق.

ب- السُنة:

حظيت السنة النبوية بخاصية التفصيل فى الأخلاق ومن ذلك(٢):

١- النهى عن أخلاق المنافقين:

وفى ذلك ورد حديث: "**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**"(٣).

٢- وفى الحث على الإخلاص والبعد عن الرياء والسمعة:

ورد حديث:

"**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**

---

(١) الأعراف: ١٩٩.
(٢) انظر: أصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان - صفحتى ٨٨،٨٩ (بتصرف).
(٣) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه - كتاب الأدب - باب قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" - وما ينهى عن الكذب - جـ٨ - صـ٣٠ - عن أبى هريرة رضى الله عنه - ط الشعب.
وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان خصال المنافق - جـ١ - صـ٧٨ - عن أبى هريرة رضى الله عنه - ط عيسى الحلبى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أم امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[١].

٣- ترك الكلام فيما لا يعنيك:

جاء حديث:

"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[٢].

٤- النظر إلى الكلمة ووزنها قبل الإتيان بها:

جاء فى الحديث: **"إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة"[٣].**

٥- فى الحث على المحافظة على الأمانة والوفاء بالعهد:

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه - كتاب بدء الوحى - جـ١ - صـ٢ - عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه - كتاب الإمارة - جـ٣ - صـ١٥١٥.

(٢) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه - كتاب الزهد - جـ٤ - صـ٥٥٨ - عن أبى هريرة وقال أبو عيسى هذا حديث غريب، وفى البيان عن على بن الحسين مرسلاً وقال أبو عيسى وهذا عندنا أصح.

(٣) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه - كتاب الرقاق - باب حفظ اللسان - جـ٨ - صـ١٢٥ - عن أبى هريرة رضى الله عنه. وأخرجه ابن أبى شيبة - كتاب الإيمان والرؤيا - جـ١١ - صـ١١ - عن أنس رضى الله عنه.

ورد حديث: **"لا إيمان من لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"[١].**

٦- فى الحث على الصدق، والتنفير والبعد عن الكذب:

جاء الحديث: **"عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا"[٢].**

٧- فى الحفاظ على القوة الإيمانية والمداومة على العزيمة: كما جاء فى الحديث:

"المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شئ، فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"[٣].

٨- فى العمل على التوادد والتراحم والتعاطف: لما جاء فى الحديث:

(١) أخرجه الإمام أحمد فى السند - جـ٣ - صـ١٣٥ عن أنس رضى الله عنه، وأخرجه ابن أبى شيبة - كتاب الإيمان والرؤيا - جـ١١ - صـ١١ - عن أنس رضى الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه - كتاب البر - باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله - جـ٤ - صـ٢٠١٣ - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه - كتاب القدر - جـ٤ - صـ٢٠٢٥ - عن أبى هريرة رضى الله عنه.

"مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(١).

٩- فى النهى عن الجدل وترك المراء: لحديث:

"من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة"(٢)، وحديث: **"وما ضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل"**(٣).

فهذه نقاط وجيزة من السنة النبوية المطهرة يستدل بها على إبراز خاصية التفصيل فى الأخلاق، وأنتقل بعد ذلك إلى الخاصية الأخيرة من خصائص الأخلاق الإسلامية وهى خاصية: الجزاء.

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه - كتاب الأدب - جـ٨ - صـ١٢ - عن النعمان بن بشير رضى الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه - كتاب البر - باب ما جاء فى المراء - جـ٤ - صـ٣٥٨ - عن أنس رضى الله عنه، وقال هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه - كتاب التفسير - باب فى تفسير سورة الزخرف - جـ٥ - صـ٣٧٨ - عن أبى أمامة، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجة فى سننه - كتاب المقدمة - باب اجتناب البدع والجدل - جـ١ - صـ١٩ - عن أبى أمامة رضى الله عنه.

٦- خاصية الجـــزاء:

ومعناها: أن الإسلام جاء بالأخلاق أمراً ونهياً وعصيان أوامر هذا الدين أو ارتكاب ما نهى الله عنه سبب للعقاب(١)، وقد ذكر الله تعالى فى كتابه: **"ويل لكل همزة لمزة"**(٢).

وقد يكون الجزاء لمن يخالف حدود الشرع فى الأخلاق هنا فى دار الدنيا، فشاهد الزور، وبذئ اللسان، والخائن، ونحوهم يعاقبهم القاضى المسلم بالعقوبة التعذيرية، والحنث فى اليمين يترتب عليه كفارة، وفى هذه الكفارة معنى العقوبة.

وقد يكون الجزاء فى الدنيا عن طريق هلاك الجماعة التى يشيع فيها الخلق الردئ كما جاء فى الحديث:

"إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الوضيع أقاموا عليه الحد .."(٣).

وشيوع الجبن فى الأمة وترك الظلمة يعيثون فى حقوق الناس دون إنكار عليهم خوفاً منهم وجبناً وإيثاراً للذل والحياة المهينة فهذه الأخلاق الذميمة سبب لهلاك الأمة، وهذا الهلاك والضرر يصيب المذنب والبرئ. قال تعالى:

"واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة"(٤).

ومن خلال عرض ما سبق ذكره من خصائص للأخلاق الإسلامية يتبين مدى تميزها وانفرادها على غيرها من أخلاق وضعية أو سماوية وذلك

---

(١) انظر: أصول الدعوة - د. عبد الحكيم زيدان - صـ٩٢.

(٢) الهمـــزة: ١.

(٣) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه - كتاب الحدود - باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع - جـ٨ - صـ١٩٩ - عن عائشة رضى الله عنها.

(٤) الأنفـــال: ٢٥.

لعـدم وجـود هـذه الخصائص التى توافرت فى الأخلاق الإسلامية ولأنها من وضع خالق البشر "**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**"[١].

ولذلـك فـالأخلاق الإسـلامية صـالحة وجديدة بتوفير الأمن والأمان والسـعادة والرفاهـية والـتقدم، لو تمسك المسلمون بها، فى كل زمان وفى كل مكان. وبهذا ينتهى المبحث الأول من هذا البحث.

(١) المـلك: ١٤.

المبحث الثانى

"أثر الأخلاق فى نشر الدعوة"

وبه عدة مطالب:

المطلب الأول: من خلال الدعوات السابقة.

المطلب الثانى: مـن خـلال دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: من خلال عصر الراشدين.

المطلب الرابع: مـن خـلال العصـور التالـية لعصر الراشدين.

١- العصر الأمـــوى.

٢- العصر العباســى.

المطلب الأول

أثر الأخلاق فى نشر الدعوة من خلال الدعوات السابقة.

احتوت الدعوات السابقة على جوانب اخلاقية كان لها بلا شك أكبر الأثر فى نشر الدعوة، وسوف أسوق بالذكر بعض هذه الجوانب من خلال بعض الأنبياء ثم أعقب ذلك بالأثر الذى أحدثته هذه الجوانب الأخلاقية، كما يلى:

١- الجانب الاخلاقى فى دعوة نوح عليه السلام وأثره:

إذا أردنا إبراز الجانب الاخلاقى فى دعوة نوح عليه السلام، نجده يتمثل فى تلطف نوح عليه السلام والترفق بقومه أثناء الدعوة: قال تعالى: **"لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم"**[١]. فخاطبهم نزح عليه السلام بتلك الكلمة التى جاء بها كل رسول "يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" فهى الكلمة التى لا تتبدل، وهى قاعدة هذه العقيدة، وأنذرهم عاقبة التكذيب لها بقوله: "إنى أخاف عليكم عذا ب يوم عظيم" كل هذا فى إشفاق الأخ الناصح لإخوانه، وفى صدق الرائد الناصح لأهله[٢].

ومن تلطفه وخوفه على قومه أنه استمر فى دعوتهم ليلا ونهارا وفى السر والجهر، وفى جميع أحواله مستخدماً الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، كما قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: **"قال رب إنى دعوت**

---

(١) الأعراف: ٥٩.

(٢) فى ظلال القرآن: سيد قطب - مجلد ٣ -صـ١٣٠٨ (بتصرف) - ط٢٤ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م - دار الشروق.

قومى ليلاً ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارا"[١]. وقوله: **"ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم واسررت لهم إسرارا"**[٢].

كذلك نجد أنه عليه السلام تحلى بخلق الصبر والتأنى على قومه ولم يدع عليهم بقوله: **"رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا"**[٣]، إلا بعد أن أخبر عن طريق الوحى من الله بقوله:

"وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن"[٤]، فالتزم عليه السلام بالصبر مع طول المدة حيث يقول الله تعالى: **"فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون"**[٥].

وبعد هذا الموجز من الجوانب الأخلاقية فى دعوة نوح عليه السلام، أشير بتوفيق الله تعالى إلى أثر هذه الجوانب الأخلاقية فى نشر الدعوة وهى تكمن فيما يلى:

أ- أدت هذه الجوانب الأخلاقية إلى دخول البعض فى الإيمان بالله تعالى وترك عبادة الأوثان، وإن كان الذين دخلوا فى الإيمان قلة مع نوح عليه السلام كما قال الله تعالى: "ومن آمن وما آمن معه إلا قليل"[٦].

فلولا صبره عليه السلام وتلطفه بقومه ما آمنت هذه القة، قيل كانوا ستة[٧]، وقال بعضهم كانوا أربعون رجلاً وامرأة، وإن كانوا قلة فى العدد لكنهم أفضل عند الله من كثرة كافرة، وقد اثنى الله على القلة فى غير موضع فى

---

(١) نوح: ٥، ٦.

(٢) نوح: ٨، ٩.

(٣) نوح: ٢٦.

(٤) هود : ٣٦ .

(٥) العنكبوت: ١٤.

(٦) هود: ٤٠.

(٧) قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار - صـ٥٠ - ط١ - مكتبة التراث - القاهرة.

القرآن وهى القلة الإيمانية، قال تعالى: "**وقليل من عبادى الشكور**"(١)، وقوله: "**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم**"(٢)، وقوله: "**قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث**"(٣).
فلولا الأخلاق من الداعى وهو نوح عليه السلام ما آمن هؤلاء.

ب- والجانب الأخلاقى فى دعوة نوح عليه السلام له أثره الواضح فى نشر الدعوة الإسلامية حيث أنه من قصص القرآن الكريم وهذا القصص له دور فعال فى نشر الدعوة الاسلامية، ونوح عليه السلام من أولى العزم من الرسل بل أولهم وقد أمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يتخلق بخلق الصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، قال تعالى:
"**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**"(٤).

٢- الجانب الأخلاقى فى دعوة هود عليه السلام وأثره:

كان قوم هود أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى ضاهوا فى عبادتها قوم نوح عليه السلام، حين عبدوا وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا، وكان هود عليه السلام ينذر قومه ويحذرهم بأس الله ويضرب لهم المثل بقوم نوح، ويذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم إذ زادهم فى الخلق بسطة وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح وبوأهم أرضاً تُدر عليهم الخير، وأن عليهم أن يستعملوا عقولهم ليتبينوا أن ما يعبدون من دون الله لا يضرهم ولا ينفعهم(٥)، فدعاهم إلى الله الذى أغدق عليهم نعمه، ومن أخلاقه وهو يدعوهم الإخلاص فى الدعوة وهذه من أهم صفات الداعى، إذ كان يبين لهم ولم يطلب على نصيحته

(١) سبأ: ١٣.
(٢) ص: ٢٤.
(٣) المائدة: ١٠٠.
(٤) الأحقاف: ٣٥.
(٥) انظر: قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - صـ٧١ وما بعدها.

لهم أجراً يأخذه منهم أو رياسة يتزعم بها بينهم، وأنه لا يطلب الأجر إلا من الله تعالى، قال تعالى:
"**وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا تفترون يا قوم لا أسئلكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون**"(١).

ومن أخلاقه عليه السلام تحليه بالصبر على ما وجده منهم من عناد وتكذيب واتهامهم إياه بأن آلهتهم مسته بسوء، يقول تعالى: "**قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون**"(٢).

ومن أخلاقه عليه السلام أنه لا يقابل الشر بمثله، بل لا يفارقه استعمال اللين مع قومه فى كلامه فعندما قالوا له: "**إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين**" ماذا كان جوابه؟ كان جوابه أن قال لهم: "**يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين**"(٣)، فمن تأمل هذا الجواب وجد أنه استعمل الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن مع قومه مع وجود اللين والرقة فى الرد حتى يستميلهم إليه.

كذلك نجد فى دعوة هود عليه السلام، خلق الشجاعة فى الحق، فاستخدم أسلوب التحدى وذلك حتى يظهر لهم بالدليل القاطع أن آلهتهم التى يعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر، وعليهم أن يكيدوه بجميع ما يمكنهم ولا يؤخره ساعة، وكانت النتيجة أنهم عجزوا عن كيده وإلحاق أى ضرر به

(١) هود: ٥٠، ٥١.
(٢) هود: ٥٣، ٥٤.
(٣) الأعراف: ٦٨.

ولـم يـنالوه بسوء أو مكروه، فدل ذلك على صدقه فيما جاء به وبطلان ما هم عليه، وفساد ما ذهبوا إليه[١].

وأمـا بالنسـبة للتحدى والتحلى بخلق الشجاعة فهو فى قوله تعالى على لسـان هـود علـيه السـلام: "**قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون**"[٢].

وهكـذا نجـد الإخلاص فى الدعوة والتحلى بخلق الصبر والشجاعة فى الدعـوة أمـام الـباطل عـن طريق التحدى بالأدلة الناصعة وكل هذه جوانب أخلاقية فى دعوة هود عليه السلام.

وبالنسـبة لأثـر الجوانـب الأخلاقـية سالفة الذكر فى دعوة هود عليه السلام نجدها تتمثل فى بعض النقاط التالية:

أ- أدت هـذه الجوانب الأخلاقية إلى دخول بعض قومه فى حظيرة الإيمان بالله تعـالى ونـبذ عبادة الأصنام، وعند حلول العذاب من الله تعالى، نجاهم الله تعـالى مـع نبيهم هود عليه السلام ، قال تعالى: " **فأنجيناه والذين معه بـرحمة مـنا وقطعـنا دابـر الذيـن كذبـوا بآياتنا وما كانوا مؤمنيـن**"[٣]، وقولـه تعـالى: "**ولمـا جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمـنوا معـه بـرحمة مـنا ونجيناهم منن عذاب غليظ**"[٤]. ولولا الجوانـب الأخلاقية والتى منها الصبر والشجاعة مع القوم ما دخل أحد فى الإيمان ونجا مع الناجين.

---

(١) انظر: فقه الدعوة الإسلامية – د. حسن عبد الرؤوف محمد البدوى – صـ١١٨ (بتصرف) – ط١ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
(٢) هـود: ٥٤.
(٣) الأعـراف: ٨٢.
(٤) هـود: ٥٨.

وكمـا قـال ابن كثير[١]: واعتزل هود عليه السلام فى حظيرة هو ومن معه من المؤمنين، ما يصيبهم سوء .

ب- ومـن أثـر هـذه الجوانـب الأخلاقية فى نشر الدعوة من دعوة هود عليه السـلام أن الدعـاة إلـى الله تعالى عندما يضعون هذه الجوانب الأخلاقية نصـب أعينهم ويلتزمون بها فإنها بلا شك ستؤدى إلى وجود أتباع للدعوة، وهـؤلاء الأتـباع بـلا شـك سيعملون جاهدين على نشر الدعوة والوقوف بجانـبها ولذلـك[٢]، فالذى يتولى عظة الناس وإرشادهم والنصح لهم ينبغى أن يكـون آخـذاً أخـذ هود عليه السلام فى سعة الصدر وعدم مقابلة الشر بمـثله، ويحـتمل صلف المدعوين وسوء ردهم عليه رجاء أن يظفر ببغيته منهم ويفوز بهدايتهم أو هداية بعض منهم.
وبهدايـتهم أو هدايـة بعـض منهم يتضح أثر الجوانب الأخلاقية فى نشر الدعوة.

٣- الجانب الأخلاقى فى دعوة صالح عليه السلام وأثره:

وكمـا رأيـنا الجوانـب الأخلاقية الحميدة فى دعوة نوح وهود عليهما السـلام وأثـرها فى الدعوة، نجد هذه الجوانب الأخلاقية فى دعوة صالح عليه السـلام. فدعـا صـالح عليه السلام، قومه إلى عبادة الله وحده وألا يشركوا به شـيئا، فآمنـت به طائفة منهم وكفر جمهورهم ونالوا منه بالمقال والفعال وهموا بقـتله، وقـتلوا الناقة التى جعلها الله حجة عليهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى:

"**وإلـى ثمـود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلـه غـيره قـد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم**"[٣].

---

(١) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير – صـ١٣٨ – تحقيق د. عبد الحى الفرماوى – ط١ – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م – دار الطباعة والنشر الإسلامية.
(٢) انظر: قص الأنبياء – عبد الوهاب النجار – صـ٧٨.
(٣) الأعـراف: ٧٣.

وتتضح الجوانب الأخلاقية فى دعوة صالح عليه السلام فيما أخبرنا الله تعالى على لسانه: "**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب، قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير**"(١).

وفى هذا ذكر الإمام ابن كثير(٢):

أى هو الذى خلقكم فأنشأكم من الأرض وجعلكم عمارها أى أعطاكموها بما فيها من الزروع والثمار، فهو الخالق الرزاق الذى يستحق العبادة، وأقلعوا عما أنتم فيه وأقبلوا على عبادته فإنه يقبل منكم ويتجاوز عنكم، فخاطبوه قائلين: كنا نرجو أن يكون عقلك كاملاً قبل هذه المقالة وهى دعاؤك إيانا إلى إفراد العبادة وترك ما كنا نعبد من الأنداد والعدول عن دين الآباء والأجداد، وهنا رد عليهم رداً به تظهر الأخلاق التى تحلى بها فى دعوته إلى الله تعالى: "**يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير**"، وهذا تلطف منه لهم فى العبارة، ولين الجانب وحسن تأت فى الدعوة لهم إلى الخير، أى فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه ماذا عذركم عند الله، وماذا يخلصكم بين يديه وأنتم تطلبون منى أن أترك دعاءكم إلى طاعته وأنا لا يمكننى هذا لأنه واجب علىّ، ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم، أن يجيرنى منه ولا ينصرنى، فأنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له حتى يحكم الله بينى وبينكم".

---

(١) هود: ٦١:٦٣.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير – ط١ – صـ١٢٥.

ومن خلال الآيات القرآنية وما ذكره ابن كثير فى بيانها، ها هو صالح عليه السلام كما تحلى بلين الجانب والتلطف بقومه تحلى بالشجاعة والإيمان بدعوته وذلك عندما قال لهم: "**فمن ينصرنى من الله إن عصيته**"، والتزم بخلق الصبر واستمر فى دعوتهم إلى الله حتى أصابهم ما أصابهم من العذاب.

أما أثر الجانب الأخلاقى فى دعوة صالح عليه السلام فى نشر الدعوة فهو كما يلى:

أ- وجود المجتمع الإيمانى من قومه وهم أهل التقوى والذين نجاهم الله من صاعقة العذاب، قال تعالى: "**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون، ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون**"(١).

ب- أخذ العظة والعبرة من خلاك المخالفين والمكذبين والذى يؤدى إلى نشر الدعوة والإيمان بها لكى لا يصيبهم ما أصاب قوم ثمود وفى هذا المعنى يروى عن ابن عمر قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا القدور فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجين للإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التى كانت تشرب منه الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال: "**إنى أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم**"(٢)، وبهذه العظة والعبرة الأثر الواضح فى نشر الدعوة الإسلامية.

---

(١) فصلت: ١٧،١٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده – جـ٢ – صـ١١٧.

٤- الجانب الأخلاقى فى دعوة شعيب عليه السلام وأثره:

جاء شعيب عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحده، وتجلى الجانب الخلقى وهو يدعو قومه وهم أصحاب الأيكة، قال تعالى:

"كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون"(١)، فهاهم قومه عبدوا غير الله تعالى، وأسرفوا فى الكيل والميزان فوجههم شعيب عليه السلام إلى الحق بالحسنى، وأمرهم بتقوى الله سبحانه وتعالى، والبعد عن الخلق الذميم وهو تطفيف الكيل كما حكى الله على لسانه: **"أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين"**(٢).

وبعد أن بدأهم شعيب بما يبدأ كل رسول قومه من أصل العقيدة والتعفف عن الأجر، أخذ يواجههم بما هو من خاصة شأنهم - كما ذكر فى سورتى الأعراف وهود - وقد كان شأنهم: أن يطففوا فى المكيال والميزان، وأن يأخذوا بالقسر والغصب زائداً عن حقهم ويعطوا أقل من حق الناس ويشتروا بثمن بخس ويبيعوا بثمن مرتفع، وقد أمرهم رسولهم بالعدل والقسط فى هذا كله، لأن العقيدة الصحيحة يتبعها حسن المعاملة(٣). وهذه أخلاق كريمة واضحة فى دعوة شعيب عليه السلام لقومه، وهو الالتزام بالعدل والقسط فى البيع والشراء.

---

(١) الشعراء: ١٧٦:١٧٩.
(٢) الشعراء: ١٨١:٠٨٣.
(٣) فى ظلال القرآن - سيد قطب - صـ٢٦١٥ - جـ٥ - (بتصرف) - مرجع سابق.

أثر الجانب الأخلاقى فى دعوة شعيب عليه السلام فى نشر الدعوة:

يتضح هذا الأثر فى:

أ- أدت هذه الأخلاقيات فى دعوة شعيب عليه السلام إلى دخول بعض قومه فى حظيرة الإيمان بالله تعالى والبعد عن تطفيف الكيل والميزان والوقوف بجانب نبيهم شعيب عليه السلام، قال تعالى على لسان نبيه وهو يخاطب قومه: **"وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به، وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين"**(١).

ب- أن محاربة الأخلاق الذميمة وخلوها من المجتمع الإسلامى يؤدى إلى توفير السعادة والأمن وحلول البركة بتوفير الخيرات فى المجتمع، وهذه الأخلاق الذميمة والتى منها تطفيف الكيل والميزان، ناشد القرآن المجتمع الإسلامى بمحاربتها والبعد عنها، وتوعد الله المخالفين بالويل فقال: **"ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم"**(٢).

وبمحاربة الأخلاق الذميمة فى الدعوة إلى الله تعالى والعمل على وجود الأخلاق الطيبة والحسنة، ما دخلت الدعوة إلى قوم إلا ودخل العقلاء فيها لما اتسمت به من خلق رفيع. وبذلك يعتبر الجانب الأخلاقى من أهم الأساليب التى تؤدى إلى انتشار الدعوة الإسلامية.

---

(١) الأعراف: ٨٧، ٨٨.
(٢) المطففين: ١:٥.

٥- الجانب الأخلاقى فى دعوة لوط عليه السلام وأثره:

سكن قوم لوط أرض سدوم التى تقع بجوار البحر الميت بالأردن وقد عبد هؤلاء القوم غير الله، وانغمسوا فى الفواحش حيث كانوا يأتون الذكور ويتركون الإناث حتى وصفهم الله بقوله: "**من القرية التى كانت تعمل الخبائث**"(١)، وكان كل ما يشغلهم هو فحشهم، ويجتمعون لهذا الفسوق، ويأتونه علنا بلا حياء ووبخهم نبيهم كما جاء فى قوله تعالى: "**أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل، وتأتون فى ناديكم المنكر**"(٢)، فبعد أن فسدوا فى عقيدتهم وأخلاقهم أرسل الله إليهم لوطا عليه السلام ليدعوهم إلى الله من أجل توحيده، والبعد عن إتيان الذكور وترك الإناث فها هو عليه السلام يركز على البعد عن السيئات المتفشية بينهم بقوله كما أخبر الله تعالى: "**أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم**"(٣)، ومع كل هذا أبوا طاعته وقالوا لأتباعهم كما حكى القرآن: "**أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**"(٤)، وهكذا أصبح الطهر عندهم عيبا يستحق الطرد، وزادوا فى جرمهم فقاطعوا لوطا وتركوه، إلى أن جاءه ذات يوم رجال فعجب لمجيئهم لأنهم أتوا إلى القرية الظالم أهلها، لأنه خاف من قومه الإيذاء لهم وأقسى ما يهين كرامة الإنسان الاعتداء على أضيافه. وصح ما توقعه لوط، فإن قومه جاءوا سراعا إليه يبغون السوء بهؤلاء الغرباء عن القرية، وقد أخبرتهم زوجة لوط بجمالهم وشبابهم، وحاول لوط أن يرد قومه عن الضيوف قائلا:

---

(١) الأنبياء: ٧٤.
(٢) العنكبوت: ٢٩.
(٣) الشعراء: ١٦٥، ١٦٦.
(٤) النمل: ٥٦.

"**إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون، واتقوا الله ولا تخزون**"(١)، وعرض عليهم أن يتزوجوا بناته، ليفعلوا الطهر، ويتركوا الفحش فقالوا له كما جاء بالقرآن: "**ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد**"(٢)، ولما يئس من قومه طلب النجاة من ربه قائلا: "**رب نجنى وأهلى مما يعملون**"(٣)، هنا فاتح الأضياف لوطا وعرفوه أنهم رسل من الله: "**قالوا يا لوط إنا رسل ربك**"(٤)، أتوا لتحقيق وعد الله بإنجاء الطائعين وتعذيب العصاة، وأمروه أن يترك القرية قبل أن يحل عذاب الله على العصاة ويمضى إلى حيث يأمره ربه وكانت نهاية القوم أن أصيبوا بالعمى جميعا فى الليلة التى خرج فيها لوط من القرية وعند الصباح أتتهم صيحة من المشرق زلزلتهم وأمطرت السماء حجارة فوق رؤوسهم فتهدمت القرية وامتلأت بالدخان، وهكذا كان الجزاء من جنس العمل، ولقد هلكت زوجة لوط عليه السلام مع الكافرين(٥).

وهكذا تتضح الجوانب الأخلاقية فى دعوة لوط عليه السلام وهى المتمثلة فى عبادة الله وحده لا شريك له، والدعوة إلى الطهر والعفاف.

وبالنسبة إلى أثر هذه الجوانب فى نشر الدعوة: فهى تكمن فى أن النجاة من العذاب لا تكون إلا باتباع الرسل والالتزام بالمنهج الأخلاقى كما قال تعالى: "فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا فى الغابرين"، وهى امرأة لوط، فالذين آمنوا من أهله كانوا من الناجين.

---

(١) الحجر: ٦٨، ٦٩.
(٢) هود: ٧٩.
(٣) الشعراء: ١٦٩.
(٤) هود: ٨١.
(٥) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها - د. أحمد غلوش - صـ١٣٨، ١٣٩ (بتصرف) - ط٢ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - نشر دار الكتاب المصرى - القاهرة.

ومن أثر دعوة لوط عليه السلام إلى الأخلاق الطيبة وهى الطهر والعفاف: أن هذه الأخلاق تعمل على تماسك المجتمع والمحافظة على لبنائه التى يقوم عليها.

٦- الجانب الخلقى فى دعوة موسى عليه السلام وأثره:

وردت قصة موسى عليه السلام فى أربع وثلاثين سورة[١]، تناولت هذه السور جوانب متعددة من حياته عليه السلام، وأقتصر هنا على إبراز الجانب الخلقى - وهو ما يخص البحث - ويتمثل هذا الجانب فى استخدامه عليه السلام الرفق واللين أثناء تبليغ الدعوة، وعدم الخشونة وذلك كما أمره الله تعالى هو وهارون عليهما السلام: "**فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى**"[٢]، وذلك عندما أمرهما الله تعالى بالذهاب إلى فرعون، وقد ذكر الرازى فى تفسيره[٣]، سؤالاً بقوله: لم أمر الله تعالى موسى عليه السلام باللين مع الكافر الجاحد؟ والجواب: لوجهين:

الأول: أنه عليه السلام كان قد رباه فرعون فأمره أن يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق وهذا تنبيه على نهاية تعظيم حق الأبوين.

الثانى: أن من عادة الجبابرة، إذا غلظ لهم فى الوعظ أن يزدادوا عتواً وتكبرا، والمقصود من البعثة حصول النفع لا حصول زيادة الضرر، فلهذا أمر الله تعالى بالرفق.

كما أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يكون باللين، وفى هذا دليل على جوازه، وكما يقول القرطبى فى تفسيره[٤] : " وإذا كان هذا الأمر

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - صـ٦٨١.
(٢) طـه: ٤٤.
(٣) تفسير الفخر الرازى للإمام محمد الرازى - جـ٢١ - صـ٥٩ - مجلد ١١ - دار الفكر - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى - صـ٤٢٣٩ - جـ٦ - دار الريان للتراث - طبعة خاصة بتصريح من دار الشعب بدون ذكر السنة.

باللين لمن معه النبوة وضمنت له العصمة ألا تراه قال: " **فقولا له قولاً لينا**"[١]، وقال: "**لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى**"[٢]، فكيف بنا فنحن أولى بذلك، وحينئذ يحصل الأمر والناهى على مرغوبه ويظفر بمطلوبه وهذا واضح".

ومن أثر القول اللين فى نشر الدعوة[٣]: أنه لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذى يعيش به الطغاة ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان، فهذا هو خلق اللين فى دعوة موسى عليه السلام وأثره فى نشر الدعوة.

ومن الأخلاق البارزة فى دعوة موسى عليه السلام: تلبية دواعى المروءة والنجدة، والمعروف، وإقرار الحق الطبيعى الذى تعرفه النفوس، واتصافه بالأمانة والقوة، كل هذه الجوانب الأخلاقية ذكرها الله فى سورة القصص فى قوله تعالى: "**ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تزودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير**"[٤].

وفى ظلال هاتين الآيتين قال الشيخ سيد قطب[٥]:

فعندما علم أن السبب فى خروج البنتين شيخوخة الأب وأنه لا يقدر على الرعى ومجالدة الرجال، أثارت نخوة موسى عليه السلام وفطرته السليمة

---

(١) طـه: ٤٤.
(٢) طـه: ٤٦.
(٣) فى ظلال القرآن - سيد قطب - صـ٢٢٣٦ - جـ٤ (بتصرف) - مرجع سابق.
(٤) القصص: ٢٣، ٢٤.
(٥) انظر: فى ظلال القرآن - سيد قطب - صـ٢٦٨٦ - جـ٥.

فتقدم لإقرار الأمر فى نصابه، كما ينبغى أن يفعل الرجال ذووا الشهامة "**فسقى لهما**" مما يشهد بنبل هذه النفس التى صنعت على عين الله.

أما خلق الأمانة فى دعوةموسى عليه السلام فيتضح عندما قالت إحداهما بعد ذهابه إلى أبيها وكما أخبرنا الله تعالى:

"**قالت إحداهما يا أبت استئجره إن خير من استأجرت القوى الأمين**"[١]، وذلك[٢]، لما رأته فيه من خلق حسن رفيع، ورأت من قوته ما يهابه الرعاء، فيفسحون له الطريق ويسقى لهما، ورأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته، فهى تشير إلى أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل. وفى هذا دليل على أن المرأة لا تخرج للعمل والسعى على الرزق إلا عند الضرورة، وأن تحاول جاهدة زوال هذه الضرورة إذا وجدت فرصة لذلك كما فى قصة موسى عليه السلام فهذه البنت وجدت الفرصة حيث أن موسى عليه السلام قوى على العمل، أمين على المال، فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه.

وأما أثر خلق الأمانة فى نشر الدعوة هنا:

نيل إعجاب الفتاة والتى طلبت من أبيها أن يستأجره، ويستفيد من ذلك الدعاة فى كل زمان ومكان وكلما نظروا إلى الجوانب الأخلاقية فى دعوة موسى عليه السلام فى القرآن الكريم، والتى منها الأمانة وطبقوها على أنفسهم عملياً نالوا إعجاب المدعوين وعملوا بأقوالهم لهم لأنهم رأوها عملية مشاهدة بأبصارهم، وبذلك تنتشر الدعوة ويؤتى بثمارها من أقرب الطرق وهى الأخلاق العملية والمتمثلة فى القدوة الحسنة.

---

(١) القصص: ٢٦.

(٢) انظر: فى ظلال القرآن – سيد قطب – صـ٢٦٨٨ – جـ٥.

٧- الجانب الخلقى فى دعوة عيسى عليه السلام وأثره:

تعتبر دعوة عيسى عليه السلام هى آخر دعوات الله إلى بنى إسرائيل، وقد نادى عيسى عليه السلام بتخليص بنى إسرائيل من ماديتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

وبالنظر إلى الجانب الخلقى فى دعوته[١]: نجد أنه مع أول كلام تفوه به وهو فى المهد، وكما ذكر الله فى كتابه على لسانه عليه السلام:

"**قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا**"[٢].

وهذه وظيفة العبيد فى القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة والزكاة والإحسان إلى الخليقة بالزكاة، وهى تشتمل على طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة، وتطهير الأموال الجزيلة، ومن الأخلاق التى تحلى بها عيسى عليه السلام وهو فى أول المهد، بر الوالدين فى قول الله تعالى على لسانه: "**وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا**"، أى وجعلنى براً بوالدتى، وذلك أنه تأكد حقها عليه، إذ لا والد له سواها فسبحان من خلق الخليقة وبرأها.

وقوله: "**لم يجعلنى جباراً شقيا**"، أى: لست بفظ ولا غليظ ولا يصدر عنى قول ولا فعل ينافى أمر الله وطاعته، وكل هذه جوانب تبرز الجانب الخلقى فى دعوته عليه السلام.

وبالنسبة إلى أثر هذه الأخلاق فى نشر الدعوة:

دخول الناس فى دين الله تعالى حيث أن المبادئ الأخلاقية التى جاء بها عيسى عليه السلام والتى منها البر بوالدته، والقول الحسن وغير ذلك واحدة فى كل الرسالات، قال تعالى: "**وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا**

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير – جـ٢ – صـ٦٣ – مرجع سابق.

(٢) مريم: ٣٠:٣٣.

تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا"[١].

وفى دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"[٢].

فالأخلاق واحدة وإن تعددت الرسل، وهذه الأخلاق من شأنها أن تتغلغل فى القلوب.

وأنتقل إلى المطلب الثانى لإبراز أثر الأخلاق من خلال دعوة من أكمل الله الدين على يديه، وأتم له نعمته وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) البقرة: ٨٣.
(٢) الإسراء: ٢٣.

المطلب الثانى

أثر الأخلاق فى نشر الدعوة من خلال دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

عندما أنتقل بالحديث عن الجانب الأخلاقى وأثره من خلال دعوات الأنبياء السابقين ومنهم: (نوح – هود – صالح – شعيب – لوط – موسى – عيسى – عليهم السلام)، إلى دعوة من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أجد أن الأقلام تعجز عن وصف أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم، بعد أن وصفه الله تعالى بقوله: **"وإنك على خلق عظيم"**[١]، وبعد أن قال صلى الله عليه وسلم: **"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"**[٢]، وفى هذا المطلب سوف أطوف بإيجاز حول أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم بصفة عامة، ثم أختار من هذه الأخلاق ما له أثر بالغ فى نشر الدعوة كما يلى.

أولاً: الكلام عن خلق النبى صلى الله عليه وسلم بصفة عامة:

وأقصد من القول "بصفة عامة" الخلق الكامل فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكمال الخلق لفظ قصير يتناول فى معناه كثيراً فهو يشمل[٣]:

حب الفضيلة والتمسك بها، وحسن المعاشرة، ولطف المودة، وصلة الرحم والإحسان إلى الجار القريب والبعيد، والرفق بهم، والتواضع والبشر

(١) القلم: ٤.
(٢) أخرجه الإمام البيهقى فى السنن الكبرى – باب بيان مكارم الأخلاق – جـ١٠ – صـ١٩٢ – عن أبى هريرة رضى الله عنه.
(٣) خاتم النبيين – محمد أبو زهرة – صـ٣٤٩ وما بعدها (بتصرف) – الطبعة الأولى – ١٩٧٢م – دار الفكر العربى.

ولقاء الناس به، والأناة والحلم، ومنع الجفوة، وكظم النفس واجتناب الغيظ، والحياء، وإقراء السلام على من عرف ومن لم يعرف، والجود بما عنده، والزهد فيما ليس عنده، ويمنع الغلظ والفظاظة، والعفو عن المسئ، وإقالة عثرته، والرد على المسئ بالإحسان، والإعراض عن الجاهلين، وترك المهاترة، والمماراة، والمجادلة إلا بالتى هى أحسن، والتيسير وترك التعسير، والتبشير دون التنفير.

وفى الجملة: الخلق الحسن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشمل أيضا:

تهذيب النفس، وتربية الوجدان، والتآلف مع الناس، والقرب إليهم، وتوطئ الكنف لهم، والرفق بالضعفاء، والقرب منهم والألم لآلامهم، والسرور لسرورهم والاندماج فيهم من غير تأثر، ولا تجانف لإثم، وما من خلق حسن اتصف به نبى قبله ولا رسول، إلا وكان هذا الخلق فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل زاده الله حتى تتلائم الأخلاق مع رسالته لأن الأنبياء السابقين والرسل كانوا لأقوامهم خاصة وفى زمان محدد وإنما كانت رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم كافة للناس وإلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: "**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**"، فكل الأخلاق الحسنة فى شخصه صلى الله عليه وسلم وجعلها الله مرآة لكل العصور من بعده يستقى منها الدعاة فى كل عصر وفى كل مصر.

وأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم، كانت قبل النبوة وبعدها وكما ذكر الإمام بن كثير[1]:

حتى أنه يروى بعض القرشيين أنه بايع النبى صلى الله عليه وسلم بياعة قبل البعثة، وبقى شئ لم يأخذه من محمد (صلى الله عليه وسلم) فانتظره النبى (صلى الله عليه وسلم) ثلاث ليال، وكان يذهب فيقيم فى مكانه الذى غادره فيه، حتى لا يضل فلا يهتدى إليه، فيضيع حقه الثابت له. فهذا حرص

(١) البداية والنهاية لابن كثير – جـ٦ –صـ٣٣.

منه صلى الله عليه وسلم على حفظ الأمانة ورد الحقوق، وامتدت هذه الأخلاق إلى ما بعد النبوة وأذكر واقعة كان خلق العفو فيها داعية للإسلام:

تصدى غورث بن الحارث ليفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت شجرة قائلاً، والناس قائلون؛ فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف مصلت على رأسه فى يد الرجل وهو يقول: من يمنعك منى. فقال عليه الصلاة والسلام بقلب مؤمن ولسان صادق "الله" فسقط السيف من يد الرجل فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال: "من يمنعك منى" قال كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه. فدنا قلب الرجل بعد نفور وصار داعية لمحمد صلى الله عليه وسلم بعد أن كان يريد قتله، فذهب إلى قومه يحببهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: "جئتكم من عند خير الناس".

وعندما سئلت عائشة رضى الله عنها، عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: كان خلقه القرآن[1].

وعن جوده صلى الله عليه وسلم:

ما جاء فى الصحيحين عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فالرسول صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة[2].

والكلام عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم معين لا ينضب، وقد ذكرت سابقاً عند الكلام عن خصائص الأخلاق، وفى خاصية العموم والتفصيل الأحاديث الواردة فى تفصيل الأخلاق ما يغنى عن الإطالة هنا. فليراجع إليها.

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة – باب جامع صلاة الليل – جـ٣ – صـ١٣١.
(٢) صحيح البخارى – صـ٢٣٨ – جت٨ – مجلد ٣.

ثانياً: نموذجين من الجانب الخلقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأثرهما فى نشر الدعوة:

النموذج الأول: الأمانة وأثرها فى نشر الدعوة:

كان لخلق الأمانة عند النبى صلى الله عليه وسلم أكبر الأثر فى نشر الدعوة الإسلامية، فلقبته قريش قبل البعثة بالصادق الأمين، ولهذه الأمانة تركت خديجة أغنياء قريش وتزوجت النبى صلى الله عليه وسلم.

ويذكر ابن هشام[١]، قول ابن اسحاق: "وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام مع غلام لها يقال له ميسرة"، إلى أن وصل الأمر إلى الزواج المبارك، ومساندة النبى صلى الله عليه وسلم فيما بعد فى طريق الدعوة إلى الله بمالها ونفسها، ومما يذكر فى خلق الأمانة للرسول صلى الله عليه وسلم : أن قريشاً كانت تستأمنه على ودائعها، ولذلك عند الهجرة، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس[٢]، كل هذا مما أدى إلى نشر الدعوة الإسلامية بسبب هذا الخلق.

وبالنسبة لأثر خلق الأمانة على المدعوين أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والذى قال الله عنه: **"لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"**[٣].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام – جـ١ – صـ١١٩ (بتصرف) – تحقيق محمد البيومى – نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة – ط١ – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
(٢) انظر: المرجع السابق – جـ٢ – صـ٨٦.
(٣) الأحزاب: ٢١.

ولو أدى كل مسلم ما عليه من أمانة لتقدم المسلمون وصاروا فى مقدمة الأمم ولأصبحوا كما قال تعالى: **"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"**[١].

النموذج الثانى: العفو وأثره فى نشر الدعوة:

وأما خلق العفو فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسيرته مليئة بهذا الخلق الرفيع، وعلى أثر هذا العفو دخل الناس فى دين الله أفواجا، وذلك بعد أن نصره الله ودخل مكة، فقال:

"يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" [٢] وبذلك أنهى الأحقاد ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ولوجود الأمان لهم بعفوه صلى الله عليه وسلم عنهم.

ومن عفوه صلى الله عليه وسلم ما يخبرنا به أنس بقوله[٣]: كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم، وعليه برد غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذ بردائه جبذاً شديداً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هى قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال: يا محمد مر لى من مال الله تعالى الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضحك ثم أمر له بعطاء.

وقد مر أيضاً عفوه صلى الله عليه وسلم عن غورث بن الحارث عندما تمكن منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: **"من يمنعك منى"** فقال له الحارث: كن خير آخذ فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جعله يذهب إلى قومه قائلاً: جئتكم من عند خير الناس. ولهذا الخلق الأثر الواضح فى نشر الدعوة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، وبالنسبة لأثر هذا الخلق على الدعاة:

---

(١) آل عمران: ١١٠.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير – جـ٤ – صـ٢٩٩ – مجلد ٢.
(٣) انظر: خاتم النبيين – محمد أبو زهرة – صـ٢٦٤.

فعندما يلتزمون به فى الدعوة إلى الله تعالى مع المدعوين كما كان يفعل النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وفى حياته مع غير أصحابه، والذين دخلوا فى الإسلام بسبب هذا العفو لأدى ذلك إلى امتلاك قلوب المدعوين والوصول بالدعوة إلى النتائج المرجوة منها بأقل جهد ممكن، وأدى هذا إلى وجود أثر العفو بين المدعوين بعضهم بعضاً، فتمتلئ القلوب بالمحبة والخير لإخوانهم، وتزول الأحقاد والضغائن فيعيش المسلمون فى كل مكان على الأرض فى سعادة وسلام.

المطلب الثالث

أثر الأخلاق فى نشر الدعوة من خلال عصر الراشدين

وبالنسبة إلى أثر الأخلاق فى نشر الدعوة من خلال عصر الراشدين، فأختار نموذجاً من هذا العصر ثم أذكر من خلاله الأثر الذى أدى إلى نشر الدعوة، وهذا النموذج هو الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك بذكر بعض الجوانب الأخلاقية من حياته وأثرها كما يلى:

أولاً: العدل:

وهذا الخلق مهم فى حياة الأمة، وقد اتضح العدل فى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى عهد خلافته على المسلمين من أول خطبة له ومما جاء فيها[1]: "إنى وليت أموركم أيها الناس .. فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحداً، أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن بالحق، وإنى بعد شدتى تلك أضع خدى على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف".

ويتجلى عدله رضى الله عنه من خطبته أنه سيسلط شدته على أهل الظلم والتعدى على المسلمين، أما أهل السلامة والدين فهو ألين لهم من بعضهم لبعض، كما أنه لن يترك أحداً يظلم غيره حتى يضع خده على الأرض ويضع قدمه على الخد الآخر حتى يذعن بالحق دون استثناء، وبعد هذا يضع خده على الأرض لأهل العفاف، فهذه عدالة صريحة وعلى أثر هذه العدالة

---

(١) انظر: الفاروق عمر – محمد حسين هيكل – صـ٩٣ – ط٧ – دار المعارف – ١٩٨١م.

انتشـــر الإســـلام وزادت الفتوحات فى عهده رضى الله عنه، ولأنه لم يفرق فى عدله بين أمير وسوقه وأسوق مثالاً على ذلك[١]:

ضـــرب محمـــد بـــن عمرو بن العاص مصرياً بالسوط وهو يقول له: خذهـــا وأنا ابن الأكرمين وحبس ابن العاص المصرى مخافة أن يشكو إبنه إلى الخلـــيفة. فلمـــا أفلت الرجل من محبسه ذهب إلى المدينة وشكا لعمر ما أصابه فاســـتبقاه عـــنده واستقدم عمراً وابنه من مصر، ودعاهما إلى مجلس القصاص، فلمـــا مـــثلا فـــيه نـــادى عمـــر: أيـــن المصرى؟ دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرميـــن! وضـــرب المصرى ابن عمرو بن العاص وعمر يقول: اضرب ابن الأكرميـــن! فلمـــا فـــرغ الـــرجل وأراد أن يرد الدرة إلى أمير المؤمنين قال له أحلهـــا على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه! قال عمرو: يـــا أمير المؤمنين قد استوفيت واستشفيت. وقال المصرى: يا أمير المؤمنين، قد ضربت من ضربنى.

فقـــال عمـــر: إنك والله لو ضربته ما حُلنا بينك وبينه. حتى تكون أنت الـــذى تدعـــه. والتفـــت إلى عمرو مغضباً وقال: متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

وإتـــيان العدالـــة عملية بعد أن جاء بها قولية كما سبق فى خطابه الأول فـــى أول عهـــده بالخلافـــة يـــأتى بالأثر الواضح فى نشر الدعوة لالتزام عمر رضـــى الله عنه بمنهج القرآن عندما حث على مطابقة العمل على القول وتوبيخ الذين تركوا هذا المنهج فى قوله تعالى:

"أتأمـــرون الـــناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفـــلا تعقلـــون"[٢]، وقولـــه تعالى: **"يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلـــون كـــبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"**[٣]. والعمل بأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم.

---

(١) المرجع السابق – صـــ١٩٨ – جـــ٢.
(٢) البقـــرة: ٤٤.
(٣) الصـــف: ٢، ٣.

ومـــن الأثـــر أيضـــاً مع زيادة الفتوحات فى عهده توفير الأمان لسائر أفـــراد الأمـــة وفـــى جمـــيع الولايات الإسلامية، وكما هو معلوم من قصة ابن عمرو بن العاص سالفة الذكر.

ثانياً: الزهـــــد:

وكمـــا اتصـــف رضى الله عنه بخلق العدل اتصف بخلق الزهد، ولم لا وقـــد نزل القرآن الكريم بقوله تعالى: **"واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلـــناه مـــن السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا"**[١].

وكـــان رضـــى الله عـــنه من أوائل الصحابة الذين كانوا يستمعون إلى القـــرآن مـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطبقونه عملياً على أنفسهم ومن الـــنماذج العملية لخلق الزهد فى حياة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما فعلـــه فـــى عام الرمادة حين حرّم على نفسه السمن، وكان يأكل الزيت وعندما تقرقر بطنه يشير إليها ويقول: "ليس لك عندنا غيره حتى يحيى الناس"[٢].

وأثـــر هـــذا الخلـــق فى نشر الدعوة هو تمسك الرعية بالزهد فى حكام الدنـــيا فلـــم يتنافســـوا مـــن أجلها وعلموا أنها فانية فلم يأخذوا منها إلا بقدر ما يســـاعدهم علـــى حـــياتهم لعبادة الله، وبذلك انتصروا على أنفسهم فأدى هذا إلى انتصارهم فى كل معاركهم مع أعدائهم. ودخول الناس فى دين الله أفواجا.

---

(١) الكهـــف: ٤٥.
(٢) الزهد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني صـــ٣٠ (بتصرف) ط. ٢ س ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م ، دار الريان للتراث .

المطلب الرابع

أثر الأخلاق فى نشر الدعوة من خلال العصور التالية لعصر الراشدين

وبالنسبة لأثر الأخلاق فى نشر الدعوة من خلال العصور التالية لعصر الراشدين. فينحصر أثر الأخلاق فى هذا المطلب فى عصرين وهما:

أولاً: عصر الدولة الأموية:

وأختار من هذا العصر الجانب الخلقى فى حياة الخليفة عمر بن عبد العزيز، والذى لقب بخامس الخلفاء الراشدين.

الجانب الخلقى فى حياة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، وأثره:

كان عمر بن عبد العزيز تابعياً جليلاً، ويمتد نسبه من جهة أمه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأمه أم عاصم بنت ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وإن أباه عبد العزيز بن مروان والى مصر وهو حديث السن يشك فى بلوغه، فأراد أبوه إخراجه معه الى مصر من الشام، فقال: يا ابة أو غير ذلك لعله يكون أمتع لى ولك؟

قال: وما هو؟ قال: ترحلنى الى المدينة فاقعد إلى فقهائها، وأتأدب بآدابهم فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة، وأرسل معه الخدم، فقعد مع مشايخ قريش وتجنب شبابهم، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم وزوجه بابنته فاطمة[1]، وله فى الجانب الخلقى الكثير من النماذج، من هذه النماذج: "**الخوف من الله**": وهذه الصفة العظيمة والتى ما أحوجنا إليها جميعاً، امتلأت حياته رضى الله عنه بها ومن ذلك:

(١) البداية والنهاية لابن كثير – صـ٢٠١، ٢٠٢ (بتصرف) – جـ٩ – مجلد ٥.

قالت زوجته فاطمة[1]: "دخلت يوماً عليه وهو جالس فى مصلاه واضعاً خده على يده ودموعه تسيل على خديه، فقلت: مالك؟ فقال: ويحك يا فاطمة قد وُليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت فى الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعارى المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذى العيال الكثير، والمال القليل، واشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربى عز وجل سيسألنى عنهم يوم القيامة، وأن خصمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم، فخشيت أن لا تثبت لى حجة عند خصومته، فرحمت نفسى فبكين".

فهذا هو الخوف من الله ينجلى فى بكائه وتفكره فى أمر الأمة وأن الله سائله يوم القيامة عن رعيته والتى منها الفقير والمريض، والعارى، واليتيم، والشيخ الكبير، وماذا سيقول الله عز وجل عندما يسأله عنهم فيبكى، ولشدة الخوف من الله حرص عمر بن عبد العزيز على إعطاء كل ذى حق حقه فانتفت المظالم حتى لقب بخامس الخلفاء الراشدين.

وكذلك من صفاته التى تستحق الذكر هنا "**الزهد فى الدنيا**"

وذلك أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أتى بمراكب الخلافة ليركبها فامتنع من ذلك ثم قال: ما شاء الله لا قوة بالله. قدموا إلىّ بغلتى، ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفية فيمن يزيد، وكانت من الخيول الجياد المثمنة، فباعها وجعل أثمانها فى بيت المال ، قالوا: ولما رجع من الجنازة وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة بإسمه، انقلب وهو مغتم مهموم، فقال له مولاه: مالك هكذا مغتماً مهموماً وليس هذا بوقت هذا؟ فقال: ويحك مالى لا أغتم وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا وهو يطالبنى بحقه أن أؤديه إليه، كتب علىّ فى ذلك أم لم يكتب، طلبه منى أو لم يطلب، قالوا: ثم إنه خير امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها، وبين أن

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير – صـ٢٠٩ – جـ٩ – مجلد ٥.

تلحق بأهلها فبكت وبكى جواريها لبكائها، فسمعت ضجة فى داره ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحمها الله[١].

فهذا هو زهد عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين يبيع مراكب الخلافة ويضع ثمنها فى بيت مال المسلمين ... ويغتم ويسأله مولاه فيقول ومالى لا أغتم وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا ويطالبنى بحقه، ويخير زوجته بين أن تقيم معه أو تذهب لأهلها لأنه لا فراغ لها، كل هذا يفيد مدى زهده فى الدنيا ومظاهرها ومفاتنها.

وتعد هذه الأخلاق فى حياة عمر بن عبد العزيز من أكبر الأثر فى نشر الدعوة الإسلامية فبعدل الحاكم يتواجد العدل بين الرعية وبزهد الحاكم يتواجد الزهد بين الرعية، وبخوف الحاكم من الله، يتواجد الخوف من الله بين الرعية، وما من أحد يرى هذه الأخلاقيات فى الأمة الإسلامية إلا واقتنع بأن الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله للعالمين وانتشر ربوعه فى الآفاق.

ثانياً: الجانب الخلقى فى عصر الدولة العباسية، وأثره:

أدى الجانب الخلقى فى عصر الدولة العباسية إلى دخول كثير من البلاد فى حظيرة الإسلام والإيمان، وذلك عن طريق:

أ- الدعوة بالآحاد:

قام آحاد المسلمين بنشر الدعوة الإسلامية فى العصر العباسى وذلك بالاختلاط بين المؤمنين وغيرهم من النصارى والمجوس والصابئين والمشركين وغيرهم، وإذا كانت الجيوش الإسلامية تفتح الحصون فإن الدعوة عن طريق آحاد المسلمين أبعد اثراً ابتداء. فهم بتخلقهم بأخلاق القرآن، وبائتلافهم مع الناس من غير استعلاء ينشرون الإسلام بالقول والعمل، حتى كانت الفرس وخراسان وما وراءهم من بلاد وراء النهر والديلم من المسلمين بدعوتهم وكثرة كبيرة من الهند أسلمت بالدعاية الآحادية والجماعية، وذلك بطرق ثلاث:

أولها: الاختلاط والائتلاف، فالأليف يقرب أليفه ويدينه.

---

(١) المرجع السابق – صـ٢٠٦ – جـ٩ – مجلد ٥.

ثانيها: التبيين، وذلك من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مع تأليف القلوب، والموعظة الحسنة.

ثالثهما: إزالة الأوهام التى تسيطر على الناس، وقد كان الوثنيون أسرع استجابة وأسهل اقتناعاً من غيرهم لأن عقولهم على الفطرة، والفطرة السليمة أقرب إلى الاستجابة إلى الحق والإيمان به.

ب- التجارة والدعوة الآحادية:

كان التجار المؤمنون فى اليمن وحضرموت يسيرون بمتاجرهم منبعثين من شطر البلاد العربية ميممين شرقى البلاد ومغاربها، ومع تجارتهم الدعوة الإسلامية، يعطون بضائع المال ويأخذون مثلها، ومعها بضائع هى النور وهو الإسلام، وقد جابوا الآفاق على البضاعة المادية والهدى المحمدى. وكان يسهل الطريق أن الوثنية كانت مسيطرة على الشعوب التى يعاملونها فيهدونها ثم يتعاملون معها بنور الهداية، فكانت بضاعة النور رائجة وبضاعة المادة رائجة أيضاً، وبالتجار الحضارمة آمن أكثر شرق أفريقيا، وعلى أيديهم أسلمت الحبشة إلا قليلاً، وكذلك الصومال، وسائر شرق أفريقيا، والتجار المسلمون هم الذين نشروا الإسلام فى أندونيسيا وغيرها من بلاد الشرق الأقصى[١].

ومن خلال ما سبق عرضه يتبين أن انتشار الإسلام فى كثير من البلدان، سببه المباشر الدعوة بالآحاد بالتزامهم بالسلوك العملى للإسلام فى تعاملاتهم مع الناس وكذلك التجار الحضارمة الذين نقلوا بضاعة النور وهى الإسلام مع بضاعة المادة وهذه هى الأخلاق التى التزم بها الآحاد ومع تجارتهم والتى أدت إلى وجود الأثر وهو دخول كثير من البلاد فى حظيرة الإسلام.

---

(١) انظر كتاب الدعوة إلى الإسلام – الإمام محمد أبو زهرة – صفحتى ٥٩، ٦٠، طبعة جديدة ١٩٩٢م – طبع ونشر دار الفكر العربى شارع جواد حسنى بالقاهرة.

المبحث الثالث

حاجة الدعوة إلى الأخلاق في العصر الحاضر

تتضح حاجة الدعاة إلى الأخلاق فى العصر الحاضر إلى أن الناس جميعاً ليسوا على درجة واحدة فى العلم. فالكثير منهم غير متخصص فى علوم الدين ولا يتمكن من القراءة فى الكتب الدينية التى يستفيد منها نظراً لانشغاله بأعماله، فيكتفون بالدعاة بالنظر إليهم وأخذ الجرعة الدينية من أقوالهم وأفعالهم، وأن مجال الأخلاق مهم بالنسبة إلى الدعاة لأن الأخلاق تدرك بالبصر ومن المعروف أن الذين يدركون بالبصر أكثر من الذين يدركون بالبصيرة وهم الخاصة، أما عامة الناس فيدركون بالبصر فإذا فقد الدعاة جانب السلوك العملى أمام عامة الناس لأدى ذلك إلى خسارة فادحة، وبوار لنشر الدعوة الإسلامية ولأن صلاح الداعى أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان، وخلقه الفاضل هو السحر الذى يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب، وإن طبيعة البشر محبة الحسن والالتفات إليه، وأصحاب القلوب الكبيرة لهم من شرف السيرة وجلال الشمائل ما يبعث الإعجاب بهم والركون إليهم، وكما يذكر الشيخ محمد الغزالى فى كتابه[1]، "مع الله" : بقوله: ومن ثم فإن الداعية الموفق الناجح هو الذى يهدى إلى الحق بعمله، وإن لم ينطق بكلمة، لأنه مثلٌ حى متحرك للمبادئ التى يعتنقها، وقد شكا الناس فى القديم والحديث من دعاة يحسنون القول ويسيئون الفعل، والواقع أن شكوى الناس من هؤلاء يجب أن تسبقها شكوى الأديان والمذاهب منهم، لأن تناقض فعلهم وقولهم أخطر شغب يمس قضايا الإيمان ويصيبها فى الصميم، ولا يكفى لكى يكون الداعية قدوة أن يتظاهر بالصالحات أو يتجمل للأعين الباحثة، فإن التزوير لا يصلح فى ذلك الميدان. ولابد أن ينكشف المخبوء على طول

(١) انظر: مع الله – دراسات فى الدعوة والدعاه – الشيخ محمد الغزالى – صـ٢٩٦، ٢٩٨ – ط٤ – ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م – مطبعة حسان – القاهرة.

المعاملة وامتداد الزمن وتمحيص الأحداث وسرعان ما يبدو معدن النفس على الحقيقة العارية، ذلك أن النفس المتحركة من هذا الروح فهى كالآلة الدائرة بما يعمر خزائنها من وقود أما النفس المحرومة من هذا الروح فهى كالالة التى تدفع باليد حيناً لا يلبث أن يغلبها العطل والعطب فتتوقف وتسكن.

وكما يذكر الشيخ محمد الغزالى بقوله:

والمصيبة العامة أن بعض المنافقين يحسبون أن تمثيل دور الإيمان إلا إلى شئ من التكلف والمصانعة، كما أن بعض المتهاونين يحسبون أن لباس التقوى يمكن نسجه بشئ من إدمان الرسوم وإتقان الهمهمة، وهذا ضلال بعيد فالأمر أخطر مما يظنون ... وإن التدين الحقيقى صورة لجوهر النفس بعدما استكانت لله ونزلت على أمره، واصطبغت بالفضائل التى شرعها، وترفعت عن الرذائل التى حرمها واستقامت على ذلك استقامة تامة.

كما أن القدوة الرديئة تعمل عملها ضد المثل الرفيعة والمبادئ الفاضلة: وتحت هذا العنوان ذكر الشيخ محمد الغزالى رحمه الله هذه القصة:

قال لى صديق:إن فلاناً "الأوروبى" إذا وكلت إليه مهمة خرجت من بين يديه متقنة الأداء، ظاهرة الجودة، أما فلان الذى يكثر الصلاة فقلما يريحنى فى إحسان واجب ... لقد جزعت لهذه المقابلة بين الشخصين، ولم يسؤنى منها أنها باطل – أو هى حق – وإنما ساءنى منها أن ذلك "المتدين" الكسول دعاية شنيعة ضد الصلاة.

وقد لاحظت أن الأجنبى فى أغلب الأحيان يرى خدشاً لكرامته وطعناً فى كيانه أن يصدر العمل عنه ناقصاً على حين نجد مواطناً ينتمى إلى الدين – كما يزعم – ثم هو يقوم بالعمل على أسوأ الوجوه ويبسط لسانه بالجدل الطويل فى تسويغه وإقناع الآخرين بقبوله .. ولعلنا لم ننسى قصة المهندس الذى أشرف على بناء جسر السلطان أبى العلاء – وكان أجنبياً – فإنه لما رأى عمله لم يصل إلى درجة الكمال التى ينشدها رمى بنفسه من فوق الجسر العالى فهوى بين أمواج النيل وكاد اليم أن يبتلعه لولا إسعاف المنقذين، ثم يقول الشيخ رحمه الله: وإنما أسوق هذه القصة لأنى أعرف أناساً مثله، وقعوا فى شر من تفريطه، وخرج العمل من بين ايديهم مبتوراً مشوهاً فلما عوتبوا شرع

كل منهم يتنصل ويعتذر أو يهز كتفيه ملقياً التبعة على غيره، ولعله بعد ذلك جلس إلى مكتبه يجرع القهوة فى كبرياء .. أيصلح هؤلاء أمثلة للإسلام؟؟ قل لى بالله كيف يهوى سلوك الفرد منا إلى هذا الحد ثم ينتظر أن يحترم الإسلام ويقبلوا عليه؟ "انتهى كلام الشيخ".

وهذا الكلام مفيد للدعاة فى هذا العصر فلابد أن يذيلوا هذا الغبار وهو المتمثل فى القدوة الرديئة عن أنفسهم أولاً ثم إن استطاعوا ذلك فمن الممكن أن يزيلوه عن غيرهم وقد عاب الله على بنى إسرائيل بقوله:

"أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"، وهنا يجب على الدعاة وخاصة فى هذا العصر أن ينظروا إلى أسباب انتشار الإسلام كما مر بهذا البحث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والعصور التى كانت بعد عصر الراشدين ويضعوها نصب أعينهم، ولأن الدعوة إلى الإسلام تكون أولاً بعرض ثماره فى الأخلاق، وحين نتابع أوصاف المسلمين الفاتحين – نجد أن الجماهير رمقت حملة العقيدة الظافرة بشئ من الدهشة ورأت فيهم نماذج خلابة للفضل والعدل فلم يمكثوا غير قليل حتى زاحموهم عليها.

إن المسلمين استحقوا أن يتأسى الناس بهم، وأن ينسجوا على منوالهم، وأن يقلدوهم فى أقوالهم وأعمالهم وأن يهجروا لغاتهم الأصلية إلى اللغة العربية الوافدة. ومن ثم نرى لزاماً علينا التوكيد بأن القدوة وحدها، وما يبعث على الاقتداء من إعزاز وإعجاب هما السبل الممهدة لنشر الدعوة فى أوسع نطاق.

كما أنه ينبغى أن يعرف الدعاة وخاصة فى هذا العصر أننا فى أمس الحاجة إلى الجانب العملى للأخلاق وتبصير المدعوين بلسان حال الدعاة لا بأقوالهم لأن العالم الآن وخاصة غير المسلمين ينظرون إلى ارتكاب بعض الحمقى من المسلمين لتصرفات ليست من الإسلام وهى العمليات الإرهابية التى يقوم بها بعض الحمقى وقد يكون هذا العمل بإغرائهم بالمال من يد تعمل فى الخفاء لإثبات أن الإسلام دين يدعو إلى الإرهاب وترويع الآمنين وهذا ما

صرح به غير المسلمين أو من يكيد للإسلام، ثم يقوم علماء الإسلام بإثبات أن هذه الأعمال الإرهابية لا تمت إلى الإسلام بصلة.

فعلى الدعاة فى هذا العصر تطبيق الجانب الأخلاقى على أنفسهم حتى يستطيعوا أن يحققوا هذا الجانب الأخلاقى عملياً فى المدعوين، ونسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

ولـيعلم الدعاة أن الله ما ذكر آية فى القرآن الكريم يخاطب فيها أهل الإيمان إلا وقرن هذا الإيمان بالعمل الصالح كما قال تعالى:

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا"[1]، وهذا كثير فى القرآن الكريم لكى يفهم أعداء الإسلام أن الإيمان لابد أن يقترن بالعمل الصالح. وأن تصرفات بعض الحمقى لا تحسب على ديننا الحنيف.

هذا وبالله التوفيق،،،

---

(١) الكهف: ١٠٧.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله وعلى آله وصحبه، وعلى جميع أنبياء الله ورسله.

أما بعد،،،

فقد انتهيت بفضل الله مما أردت بيانه فى موضوع "الأخلاق وأثرها فى نشر الدعوة" ومن خلال هذا البحث أخلص إلى النتائج الآتية:

١- أن الأخلاق فى الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد فتارة يجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم "الدين" وتارة يجعلها "من مكملات الإيمان" وتارة يجعلها "الحكمة من بعثته".

٢- واقعية الأخلاق فى الإسلام راعت حاجة الفرد والمجتمع.

٣- شمولية الأخلاق لجميع أمور الحياة كعلاقة الإنسان بخالقه "عبادات" وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان "معاملات" وعلاقة الدولة بغيرها من الدول كما تم بيانه بالبحث.

٤- أن الأنبياء والرسل التزموا بالأخلاق فآمن من قومهم من آمن ونصرهم الله على الكافرين بتعذيبهم ونجى الله الأنبياء ومن آمن معهم.

٥- أن الخلق الكامل كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله جعل رسالته هيمنت على الرسالات السابقة وزادها الله بأن أكمل الله الدين على يديه، فرسالته صالحة لكل زمان ولكل مكان.

٦- أن الخلفاء الراشدين اتسعت فى عهدهم الدولة الإسلامية وخاصة فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك لاهتمامهم بالأخلاق الإسلامية.

٧- أن آحاد الأمة بالتزامهم بالقدوة الحسنة فى تجارتهم وكل أحوالهم يصلون بالدعوة إلى انتشارها كما حدث بالعصر العباسى كما تم بيانه بالبحث.

٨- أن الدعاة فى العصر الحاضر خاصة لابد من ترجمة مبادئ الإسلام وصفاته وأخلاقه على أنفسهم حتى يعلنوا للعالمين أن الدعوة إلى الإسلام بالعمل قبل القول.

٩- أن الإسلام ينبذ الإرهاب وترويع الآمنين بأخلاقياته السمحة والتى وردت بين طيات هذا البحث، وأن تصرفات بعض الخارجين عليه ليست دليلاً على إدانته بل هى من تدبير أعداء الإسلام، وسيحفظ الله دينه ولو كره الكافرون.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الراجى عفو ربه

د. رمضان عبد المطلب خميس

أهم المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الكتاب المقدس.
٣- القاموس المحيط للفيروز آبادى - نشر دار الفكر - بيروت - س ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٤- الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى - د. رؤوف شلبى - ط٣ - س ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - دار القلم - بيروت.
٥- الخصائص العامة للإسلام - د. يوسف القرضاوى - ط٤ - س ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - مكتبة وهبة - القاهرة.
٦- السيرة النبوية لابن هشام - تحقيق محمد البيومى - نشر مكتبة الإيمان - ط١ - س ١٤١٦هـ - ١٩٨٥م.
٧- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها - د. أحمد غلوش - ط٢ - دار الكتاب المصرى - س ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٨- البداية والنهاية لابن كثير - مطبعة دار الكتب العلمية - بيروت.
٩- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى - دار الفكر للطباعة - بيروت - س ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٠- الدعوة إلى الإسلام - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربى - س ١٩٩٢م.
١١- الزهد للإمام أحمد بن حنبل الشيبانى - ط٢ - س ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - دار الريان للتراث.
١٢- الفاروق عمر - محمد حسين هيكل - دار المعارف - س ١٩٨١م.
١٣- أخلاقنا - د. محمد ربيع محمد جوهرى - ط١ - س ١٩٨٥.
١٤- الدعوة الإسلامية أركانها ومناهجها - د. رمضان عبد المطلب خميس - ط١ - دار الطباعة المحمدية - س ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٥- الإنسان وقضايا العصر - د. نعمات أحمد فؤاد - سلسلة تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - العدد ٨١ فى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٦- إحياء علوم الدين للإمام الغزالى - طبعة دار الفكر - س ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
١٧- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى - دار الريان للتراث.
١٨- فقه الدعوة الإسلامية - د. حسن عبد الرؤوف محمد البدوى - ط١ - س ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
١٩- بحوث فى الثقافة الإسلامية للدكاترة: د. حسن عيسى عبد الظاهر، د. أحمد محمد الخطيب، د.حسن عبد الرؤوف محمد البدوى، د. خليفة حسين العسال - ط١ - س١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - نشر دار الحكمة بالدوحة.
٢٠- خلق المسلم - محمد الغزالى - ط٩ - دار التوفيق النموذجية - س ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢١- خاتم النبيين - محمد أبو زهرة - ط١ - س ١٩٧٢م - دار الفكر العربى.
٢٢- دراسات فى فقه الدعوة وإعداد الدعاة - د. محمد عبد العزيز محمد عوض - ط١ - س ١٤٢٠هـ - ١٩٩٨م - دار الطباعة المحمدية.
٢٣- فقه الدعوة إلى الله - د. على عبد الحليم محمود - ط١ - س ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٤- لسان العرب لابن منظور - ط دار الفكر - ط١ - س ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٢٥- سنن ابن ماجة - ط عيسى الحلبى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
٢٦- سنن أبى داود - ط عيسى الحلبى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
٢٧- سنن ابن ماجة - ط عيسى الحلبى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
٢٨- سنن البيهقى - ط دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٢٩- صحيح ابن حبان - المطبعة السلفية - تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة.
٣٠- صحيح البخارى - ط عيسى الحلبى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
٣١- صحيح مسلم - ط عيسى الحلبى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
٣٢- فى ظلال القرآن - الشيخ سيد قطب - ط٢٤ - س ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م - دار الشروق.
٣٣- قصص الأنبياء لابن كثير - تحقيق د. عبد الحى الفرماوى - ط١ - س ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - دار الطباعة والنشر الإسلامية.
٣٤- قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - ط٢ - مكتبة التراث.
٣٥- نحو منهج إسلامى - د. حسن الشرقاوى - مطابع السفير - الإسكندرية.
٣٦- تهذيب الأخلاق لابن مسكويه - ط١ - س ١٩٦١م.